دكتور

عبد الودود شلبى

قضايا إسلامية معاصرة

حوار مع طالبات

جامعة سان دى فنسنت

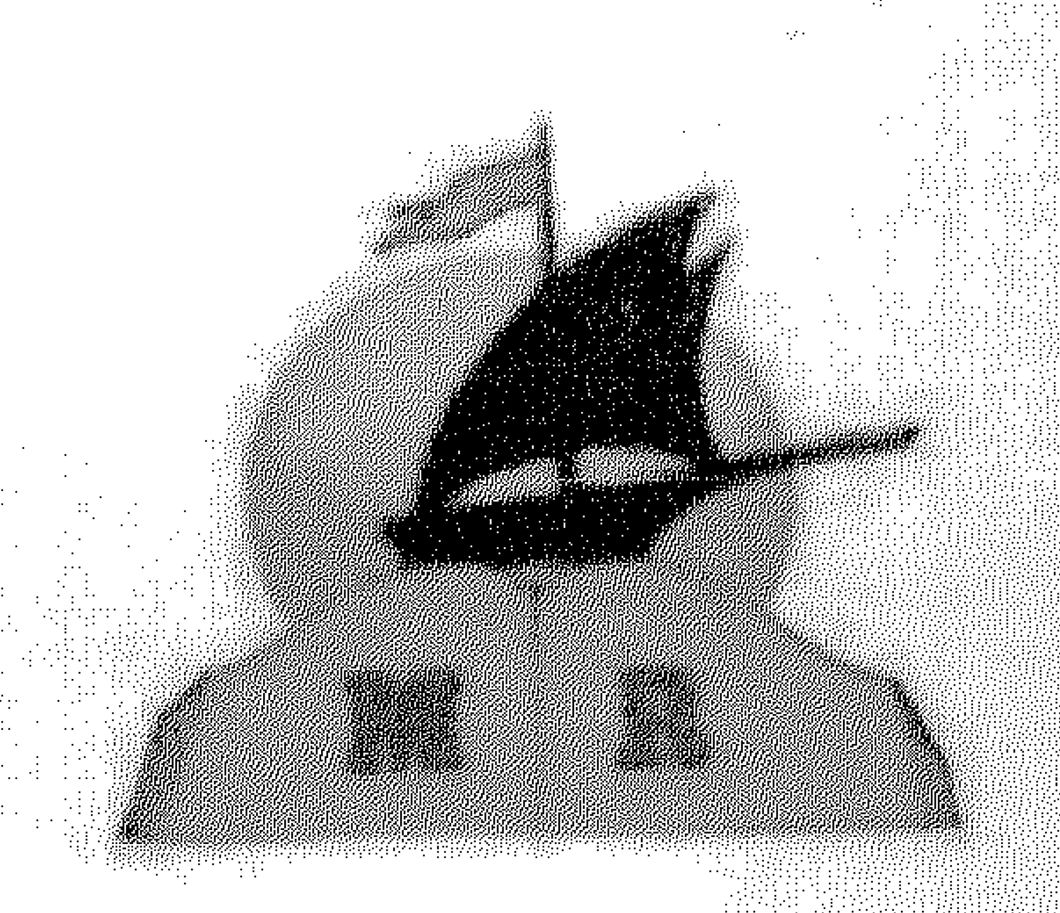
عن مكانة المرأة

فى شريعة الإسلام

وفى حضارة الغرب

سيدنـي .. استراليا
SYDNEY - AUSTRALIA

مركز الرايـــة للنشر والإعلام



مركز الراية للنشر والاعلام

- مركز الراية هو دار نشر حرة مستقلة تتبنى قضايا جادة وهادفة .
- وقد تم تأسيس هذا المركز من وحى احساسنا بدور الكلمة المطبوعة فى التعبير عن قضايانا المصرية . وكشف أوجه القصور . وتصحيح الاوضاع المقلوبة . او المفاهيم الخاطئة . واثراء حياتنا الفكرية والثقافية .
- ورغم أن المركز لا يزال فى بداياته الاولى إلا أن حسن استقبال القارئ العربى من المحيط الى الخليج لمطبوعاتنا جعلنا ندرك حجم المسئولية الملقاة على عاتقنا . ونحاول قدر جهدنا تقديم كل جديد وجاد وهادف .

الناشر

أحمد فكرى

كلمة الناشر

يربطنى بالأستاذ الدكتور عبد الودود شلبى علاقة حميمة منذ عقود كثيرة مضت . فقد كان منذ التحاقه بالأزهر فى بداية الأربعينيات من هذا القرن صديقًا للوالد والجد . كما كان من طلبة الأزهر المهتمين بالثقافة والأدب وكان «جدى» ممن يمدونه بالمجلات والصحف والكتب .

وقد استمرت هذه الصلة وهذه العلاقة بعد أن خلف والدى أباه فى هذه المهمة ثم زادت هذه العلاقة رسوخًا وعمقًا بعد قيام «مركز الراية» وبعد تفرغى للإشراف على هذه المؤسسة الوليدة الناشئة .

لقد بدأت رحلة الدكتور عبد الودود مع الأدب منذ كان طالبًا صغيرًا فى جامعة الأزهر . فقد «ولد» - كما يقول شاعرًا بالفطرة - كما كان خطيبًا من خطباء الجهاد والحركة الوطنية غير أنه انشغل عن الأدب والشعر بالسياسة ثم عاد بعد ذلك إلى التأليف والكتابة بعد أن طلق السياسة طلاقًا بائنًا إلى غير رجعة ..!

وقد صدر للدكتور عبد الودود أكثر من عشرين كتابًا عن دور النشر الكبرى فى مصر وخارجها .. ثم رأى فى النهاية أن يؤثر «مركز الراية» بآخر إنتاجه وبعض مؤلفاته اعتزازًا بهذه الذكريات الجميلة التى لا تنسى وتقديرًا لمركز الراية الذى بدأ يخطو فى عالم النشر خطوات كبرى ..

ويسر «مركز الراية» أن يؤكد هذا التواصل وهذا التعاون مع الدكتور عبد الودود فينشر له على التوالى ثلاثة كتب تحمل جميعها عنوان «قضايا إسلامية معاصرة» وهى قضايا لا تزال مثيرة للجدل فى بلاد الغرب حتى هذا اليوم . كما أنها قضايا يهم المسلم معرفتها فى عصر تضطرب فيه القيم والمثل ، وتهدد فيه العلمانية والإلحاد معاقل الإيمان فى قلب كل مسلمة وفى قلب كل مسلم ..

وا لله من وراء القصد .. وله الحمد من قبل ومن بعد .

مدير مركز الراية

أحمد فكرى

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد صدرت عدة طبعات من هذا الكتاب تحت عنوان « فى محكمة التاريخ » وقد رأينا إعادة طبعه تحت هذا العنوان الجديد تيسيراً إلى فهم القراء.

مقدمات ... تاريخية

ليس هناك طريق أقصر
مسافة لهدم الإسلام من إبعاد
المرأة المسلمة والفتاة المسلمة
عن آداب الإسلام وشرائعه .

« أنا ميلجان »

المقدمة

المرأة المسلمة ..

أو المرأة فى شريعة الإسلام ..

صراخ وعويل يتردد صداه فى كل مكان من أجل هذه المسكينة التى شاء حظها التعس أن تكون مسلمة .

أو شاء لها القدر أن تنسب إلى هذا الدين وهذه الملة ..

هكذا يتصورون المرأة المسلمة فى ديار الإسلام ..

كمًا مهملاً لا قيمة له .. وهكـذا يصورون الإسـلام «دينًا همجيا» لا إنسانية فيه.

صورة بشعة كئيبة . تصورها أقلام سامة حاقدة وقلوب مريضة عفنة.

«.. ومع ذلك فإن منتسبين إلى الإسلام - كما يقول أستاذنا الشيخ الغزالى يرتضون هذه الأحوال، أو لا يتحمسون لتغييرها .

وأذكر - والكلام لا يزال للشيخ محمد الغزالى -

أنى كنت ألقى محاضرة فى اليوم العالمى للمرأة فلما قلت : إن وجه المرأة وصوتها ليس بعورة ... حدثت ضدى مظاهرة صاخبة . وسمعت طالبا يقول لزميله : كنا نحسن الظن بهذا الرجل فإذا هو شر من قاسم أمين»...

وأسواق للقراء قصة وقعت فى مؤتمر مسيحى إسلامى انعقد فى استراليا.

يقول راوى القصة : نظرت فوجدت امرأة فى سمت عفريت داخل قاعة المؤتمر ... كانت مغطاة من أعلاها إلى أدناها . مستخفية الوجه واليدين تطل على الحضور من وراء ثقبين فى نقاب الوجه عليها غطاء من زجاج أو باغة «بلاستيك« قلت : ما هذا[١] ؟

قالوا : سيدة استرالية جاءت تحتج على ظلم الإسلام للمرأة فارتدت هذا الزى الشرعى .. عند المسلمين .

لترى النساء فى استراليا ما يعده الإسلام لهن إذا انتشر فى بلادهن هذا الدين . وقال لى أحد المبعوثين فى لندن :

أن رجلا إنجليزيًا أبدى إعجابه بالإسلام ثم قال : لكنى أذهب مع امرأتى للكنيسة يوم الأحد .. فأين تذهب امرأتى إذا كنتم تمنعونها من المسجد فلا تدخله طوال الأسبوع ؟

قلت : إن ما حدث فى استراليا وفى إنجلترا حجة على المسلمين لا ... على الإسلام . فليس فى كتاب الله ولا فى سنة رسوله صلى الله عليه وسلم أن وجه المرأة عورة يجب أن تستر .. ولا ... فى كتاب الله تعالى أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم أنها تمنع من دخول المساجد[٢] .. .. » .

❁ ❁ ❁

فإذا كان هذا شأن المسلمين فى فهمهم للإسلام فكيف نلوم غير المسلمين إذا أساءوا الظن وجنحوا إلى الوهم والخيال .. ؟

❁ ❁ ❁

---

(١) أنى أنقل هذا الكلام على لسان الداعية الإسلام الشيخ محمد الغزالى من كتابه «ضوء على تفكيرنا الدينى فى مطلع القرن الخامس عشر الهجرى » ص٢٢ وما بعدها .

(٢) المصدر السابق .

إن الحجاب الذى يعيرنا به غير المسلمين كان معترفا به فى جميع الشـرائع والأديان . وفى العهدين القديم والجديد ما يؤكد هـذه الحقيقـة التى تدحـض كل هذه الأباطيل والافتراءات الملصقة بالإسلام .

ففى الإصحاح الرابع والعشرين من سفر «التكوين».

وخرج إسحاق ليتأمل فى الحقل عند إقبال الماء .. فرفـع عينيـه ونظـر .. وإذا جمال مقبلة ... ورفعـت «رفقـة» عينيهـا فـرأت إسحاق .. فـنزلت عـن الجمل : وقالت للعبد : من هذا الرجل الماشى فى الحقل للقائنا ؟

فقال العبد : هو سيدى . فأخذت البرقع وتغطت ..

وفى الإصحاح الثامن والثلاثين من سفر «التكوين» أيضا .. أن «ثامـار» مضت وقعدت فى بيت أبيها . ولما طال الزمان خلعت عنها ثياب ترملهـا .. وتغطت ببرقع وتلففت .

وفى الإصحاح الثالث من سفر «أشعيا» أن الله سيعاقب بنـات صهيـون على تبرجهن والمباهاة برنين خلاخيلهن بأن يـنزع عنهـن الخلاخيـل والضفـائر والأهلة والحلق والأساور والبراقع والعصائب» .

ويقـول بولـس الرسـول فـى رسـالة «كورنثـوس» الأولى - الإصحـاح الحادى عشر «.. هل يليق بالمرأة أن تصلى إلى الله وهى غير مغطاة ..؟

أم ليست الطبيعة تعلمكم أن الرجل إن كان يرخى شعره فهو عيب له...

وأما المرأة إن كانت ترخى شعرها فهو مجد لها لأن الشعر قـد أعطـى لهـا عوض برقع»...

❁ ❁ ❁

لقد جاء الإسلام والحجاب موجود فى كل مكان ... كان عنـد اليونـان ... والرومان ... وكان الرومـان - مـع تساهلهم فـى هـذا الأمـر - يسـنون

القوانين التى تحرم على المرأة الظهور بالزينة فى الطرقات قبل ميلاد المسيح بمائتى عام . ومنها قانون عرف باسم قانون أوبيا .

يحرم عليها الزينة فى البيوت وفى أى مكان .

كان الحجاب فى كل الحضارات السابقة قبل ظهور الإسلام مظهرا من مظاهر الاعتزاز بالمرأة حينا .. أو اتهامها حينا آخر .. ولم يكن يترك إلا فى حال إهدار قيمة المرأة واعتبارها نوعا من الكائنات التى خلقت للخدمة شأنها فى ذلك شأن السائمة والبهيمة .

جاء الإسلام والحجاب فى كل مكان من الدنيا فتصرف معه كما تصرف فى غيره من التقاليد والعادات بما يلائم مصلحة الإنسان والمثل العليا فلم يجعله كما كان عنوانا لاتهام المرأة، أو عنوانا لسيطرة الرجل واعتبارها جزءا من ممتلكاته يتصرف فيها كما يشاء تبعا لهواه و مصلحته . بل جعله أدبًا خلقيًا واجب الاحترام والالتزام من الرجل والمرأة .

﴿ قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ۞ ذلك أزكى لهم... ﴾[1] .

﴿وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن، ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها ...﴾[2] .

۞ ۞ ۞

يقول «الكشاف» وهو من التفاسير المتقدمة :

فإن قلت : لم سومح مطلقا فى الزينة الظاهرة ؟

---

[1] سورة النور : الآية ٣٠ .

[2] سورة النور : الآية ٣١ .

قلت : لأن سترها فيه حرج . فإن المرأة لا تجد بدا من مزاولة الأشياء بيديها، ومن الحاجة إلى كشف وجهها . خصوصا فى الشهادة، والمحاكمة والنكاح، وتضطر إلى المشى فى الطرقات وظهور قدميها. وخاصة الفقيرات منهن . وهذا معنى قوله ... إلا ما ظهر منها ... يعنى إلا ما جرت العادة على ظهوره والأصل فيه الظهور .

❁ ❁ ❁

والمتأخرون من المفسرين على مثل ذلك الفهم للزينة التى يجوز إظهارها، ومن أحدثهم الأستاذ الشيخ طنطاوى جوهرى صاحب تفسير - الجواهر - حيث يقول :

إلا ما ظهر منها عند مزاولة الأشياء كالثياب والخاتم والكحل والخضاب فى الكف وكالوجه والقدمين .. ففى ستر هذه الأشياء حرج عظيم فإن المرأة لا تجد بدا من مزاولة الأشياء بيديها، ومن الحاجة إلى كشف وجهها ... لا سيما فى مثل تحمل الشهادة والمعالجة والمتاجرة وما أشبه ذلك ... وهذا كله إذا لم يخف الرجل فتنة . فإن خافها غض بصره ..»[١] .

فالمفهوم من الحجاب على هذا واضح .. فليس المراد منه إخفاء المرأة وحبسها فى البيوت، لأن الأمر بغض الأبصار لا يكون مع إخفاء النساء وحبسهن وراء جدران البيوت وتحريم الخروج عليهن لمزاولة الشؤون التى تباح لهن ...

ولم يكن الحجاب كما ورد فى جميع الآيات مانعا فى حياة النبى عليه السلام أن تخرج المرأة مع الرجال إلى ميادين القتال ... ولا أن تشهد الصلاة العامة فى المسجد ولا أن تزاول التجارة ومرافق العيش المحللة للرجال والنساء على السواء ..

---

(١)

فلا حجاب إذن فى الإسلام بمعنى الحبس والحجر والمهانة .. ولا عائق فيه لحرية المرأة حيث تجب الحرية وتقضى المصلحة .. وإنما هو الحجاب ... مانع الغواية ... والتبرج ... وحافظ الحرمات وآداب العفة والحياء ...»[1] .

إن موضوع الحجاب أو النقاب لا يستحق من مفكرى الغرب كل هذه الضجة .. أنهم يفعلون هناك ما هو أكثر غرابة وسخرية . لقد غيروا من خلقة الله فى كل شىء .. تداخلت الصور والأشكال حتى لا تكاد تميز هناك بين بعض الرجال والنساء جنس ثالث يخرج إلى الحياة بلا هوية .. لقد تحول الإنسان إلى مادة للتجارب فى معامل هذه الحضارة التى فقدت مبررات وجودها وبقائها فى هذه الدنيا ..

قلت لطالبات جامعة «سان دى فنسنت» للبنات بمدينة سيدنى : أنكن تعبن على المرأة المسلمة «تحجبها» . ترون فى هذا الحجاب تخلفا ورجعية . فماذا تقلن عن السيدة «مرجريت بوستار» الفرنسية التى ذهبت إلى أول حفل تكريم أقيم على شرفها بمناسبة انتخابها عضوا فى الأكاديمية الفرنسية لقد ذهبت إلى هذا الحفل «متحجبة» . فاجأت الحاضرين فى الحفل «بالحجاب» الذى تحرص عليه كل مسلمة محافظة وحين سئلت عن سبب اختيارها لهذا الزى قالت :

- إنى مقتنعة به تماما فهو يضفى على المرأة وقارا وجمالا وحشمة .. فإن كنتم لا تلومون العراة والعاريات فى نوادى «الجنس» المنتشرة فى أرجاء الولايات المتحدة وأوروبا .

فلماذا تصبون اللوم على المرأة المسلمة التى ترى فى هذا الزى جمالا وعبادة وحشمة ؟

❁ ❁ ❁

---

(١) المصدر السابق ص١٠٧ طبعة دار الهلال .

إن أخطر أنواع «الحجب» كافة هى تلك «الحجب» التى تفرض على العقول «حجابا» يحول بينها وبين التفكير .. وتحجب عن البصر .. والبصيرة رؤية الحقيقة المتألقة بنور الجمال والخير ..

ولكن الغرب لم يزل - بكل أسف - خاضعا لمواريث القرون الوسطى تجاه الإسلام ..

لا تزال محاكم «التفتيش» بكل ما عرف عنها من ضراوة وقسوة - لا تزال هذه المحاكم تصدر أحكامها إلى اليوم فى كل ما يتصل بهذا الدين .. قيما .. وأخلاقا وحضارة .

.. إن رؤية امرأة محجبة تثير فى أنفس هؤلاء كل أحقاد العداوة الصليبية.. أن المعنى فى تحجب المرأة هو حفاظها على الدين والعقيدة .. وما دامت المرأة المسلمة متدينة ومحافظة على الدين والعقيدة فإن ذلك يعنى فشل خططهم الشيطانية . وإفساد ما دبروه فى ليل الفساد والجريمة ..

لهذا .. فإنهم يشجعون تبرج المرأة، وخروجها على تقاليد الدين والأسرة.. يفعلون ذلك تحت شعارات زائفة من التقدم والحرية .

يقول «سلامة موسى» :

إن من علامات التحضر أن يعرف الرجل وأن تعرف المرأة الرقص الغربى. وأن يمارساه بالفعل ..

ويقول آخر «منهم» طبعا ..

«العفة والبكارة وأمثال هذه المفاهيم إنما هى من علامات التأخر .. ».

أن المسيح يطالب من نظر إلى امرأة بشهوة أن يخلع عينه ويلقيها فى الطريق .. فكيف ينسب إلى المسيح من يطالبون الرجل والمرأة بممارسة الفاحشة والشذوذ علانية ؟

ولهذا فإن التعليم عند «المبشرين» هو حجر الأساس والقاعدة فى هذه الأوكار التى كتب عليها اسم مدرسة ... فى هذه الأوكار .. يتم الإغراء بأساليب خسيسة . وإن كانت تتسم بالذكاء واليقظة ..

ويرى المبشرون أيضا : أن يكون التركيز على أبناء الأسر الكبيرة فهؤلاء سيكونون حكام المستقبل . فإذا وصل هؤلاء إلى السلطة أمكن السير فى مخططنا إلى نهايته دون معارضة ..

أما بالنسبة لتعليم البنات . فذلك يمثل درجة بالغة الأهمية وبخاصة فى المدارس الداخلية . ويفرح المبشرون إذا اجتمع فى مدارسهم الداخلية بنات من أسر معروفة لأن نفوذ هؤلاء يكون فى بيوتهن أعظم . (كما هو الحال بالنسبة للبنين أيضا).

وتقول المبشرة «أنا ميليجان» ليس هناك طريق لهدم الإسلام أقصر مسافة من مثل هذه المدارس للبنات خاصة ..

وفى هذا تقول السيدة «صافيناز كاظم» فى مقال نشر لها فى «مجلة الهلال» .

كنت أجلس على شاطئ رأس البر فى الأسبوع الأخير من شعبان . لا أرى فتاة تخطت الثانية عشرة تلبس «المايوه» . البحر ملىء بالأطفال كأنه قد خصص لهم وحدهم . الأمهات كلهن محجبات يجلسن على الشاطئ وبعض الفتيات والشابات ينزلن البحر بالبنطلون و «البلوزة» أو جلباب سميك طويل: منظر يزعج بلا شك رواد الدعوة لمحاكاة أوربا وخلفاءهم ممن تمنوا طوال الخمسين سنة الماضية أن يروا شواطئنا نسخا منقولة من شواطئ «الريفيرا» و «ميامى» وشواطئ اليونان وإيطاليا وبيروت قبل الحرب ورغم الحرب .

ولذلك جلست مبتسمة ابتسام المنتصر : رغم كل شىء ينتصر الضمير الإسلامى فى كنانة الله، ويتفتح الوعى رويدا رويدا بالعقيدة الهوية : «الأيديولوجية الإسلامية» ويقرر المصريون أن تعكس شواطئهم أحكام دينهم.

«الحمد لله» قلتها وقلبى يقفز مع الأمواج جذلاً ..

أذكر منذ ثلاثين عاما - وهذا يعنى عام ١٩٥٣ وأنا لم أتجاوز بعد السادسة عشرة من عمرى أن قرأت بمجلة روز اليوسف مقالا للأستاذ إحسان عبد القدوس يبدى فيه العجب والتعب لأنه كان يجلس على أحد شواطئ الإسكندرية الرفيعة ووجد شابة لا تنزل البحر - رغم كونها متعلمة ومستنيرة، لأنها ترى أن لبس «المايوه» أمام الرجال : حرام .

وتساءل وقتها الأستاذ عبد القدوس : هل لا يزال بيننا عقليات تفكر بهذا المنطق ؟

وقتها لم أكن ألبس المايوه، ولا لبسته بعدها، لكن لا شك أن تساؤلات الأستاذ إحسان عبد القدوس وجيله من الكتاب العلمانيين كانت تحفر نفسها فى عقلى وعقل جيلى وتسرقنا بأنظارنا نحو الغرب ونماذجه بحيث كان جيلى يشعر أن واجبه الوطنى إزاء مصرنا المحروسة هو : أن نصنع من أنفسنا لها، نتاجات مصبوبة فى قالب النموذج الأوربى أو الأمريكى أو السوفيتى .. وعندما ظهرت وقتها - أو بعدها بعام كاتبة فرنسية شابة اسمها «فرانسواز ساجان» أصدرت وعمرها ثمانية عشر عاما رواية «صباح الخير أيها الحزن» تحكى فيها تجربتها العاطفية والجنسية الجريئة : أزعجونا لسنوات تبكيتا ومعايرة لأن مصر لم تخرج حتى ذلك الحين نصف أو ربع فرانسواز ساجان، حتى أننا كنا نسير مطأطئات الرأس يشملنا شعور بالخيبة و «الخيانة الوطنية» عندما تعدينا الثامنة عشرة وشارفنا العشرين من دون أن نمر بتجارب فرانسواز ساجان وبالتالى لم نكتب أى صباح خير للحزن أو حتى مساء خير : واكتفينا بأن نقص شعرنا ونرتبه مهوشًا نازلاً على أعيننا التى نرسم فيها تعبير حزن وهو بلا سبب اللهم إلا سبب أن أنوفنا ليست طويلة بما يكفى لاستحضار شبه فرانسواز كاملاً .

كانت القيادات الفكرية فى مطلع شبابى فى الخمسينيات ثم فى الستينات، كانت كلها قيادات علمانية - أبناء الرواد العلمانيين التغريبيين أمثال لطفى السيد وقاسم أمين وسلامة موسى - ممن تمت سرقة أنفسهم، بوعى منهم أو بلا وعى، نحو محاكاة الغرب بكل أجنحته، وكانوا يشغلون المواقع المؤثرة فى الإعلام والنشر والتوجيه، وكانوا يريدون أن يحققوا بجيلنا ما لم يستطيعوا أن يحققوه هم فى سبيل الابتعاد عن تقاليد الإسلام وتصوراته ورؤاه : ليأتى بعد ذلك د . لويس عوض ليقول إننا فى نهضتنا لسنا سوى ناقلين عن الغرب حتى فى ثورتنا واحتجاجنا على الغرب .

ولا شك أنهم لم يلصقوا فوهة المسدس بين أعيننا لكى يرغمونا على الانصياع لأفكارهم، لكنهم فعلوا كل ما بوسعهم ليحبذوا ويزينوا ويعظموا النموذج الغربى وعلى وجه الخصوص النموذج الغربى للمرأة التى اصطلح عليه بالاسم الحركى :

«المرأة العصرية» ..

كانت هذه الكلمة «المرأة العصرية» هى الآلة الجهنمية لنزع المخ والتى تم تسليطها على جيلنا بإلحاح . وأعترف أننى - مع إيمانى المتأصل بالإسلام دوما - كنت فى تلك السنوات من أشد المستجيبين لنداءات هذه الآلة الجهنمية لنزع المخ، وهذا الذى جعلنى بعد تخريجى فى الجامعة عام ١٩٥٩ اندفع لأقوم بتجربة «الاوتوستوب» لأرى هل يمكن للفتاة العربية المسلمة أن تلف العالم بملابس الكشافة مثل الفتاة الأوربية «الشجاعة» دون أن تتكلف شيئا يذكر وذلك مع الحفاظ على تقاليدى كعربية مسلمة ؟ .. وكانت تقاليدى كعربية مسلمة تعنى لدى : الالتزام بالصلاة وتجنب الخمر والخنزير والمحرمات بين الرجل والمرأة، وعدت من الرحلة وقد اعتبرتها ناجحة إذ حافظت فيها على ذلك المدلول الضيق الذى حددته لمعنى «تقاليدى كعربية مسلمة» وكتبت التجربة فى سلسة تحقيقات صحفية حينذاك تحت عنوان مثير هو : أجرأ

مغامرة صحفية لعام ١٩٥٩» أتذكر هذا العنوان الآن وأشعر بـالخجل والحظ كمية التشجيع الذى كان يحرزه الخطأ . وحين أرجع بنظرة نقدية لإعادة تقييم هذه التجربة أجد أننى خرقت بها أصولا وحدودا إسلامية كثيرة ما كان ينبغى أن أخرقها لو أننى انطلقت وقتها من تصور إسلامى كامل وسليم .

وكان يجب أن تستوقفنى أول بديهية إسلامية وهى : عـدم جـدوى هـذا اللغو من التعب والجهد حيث كان يجب أن أصرف جهدى وطاقتى فى معرفة دينى بشكل أعمق والتزام بعقيدتى التزامـا سلوكيا يمكننى من تحرير نفسى وعقلى من الغزو المدمر لشخصيتى والمعـادى بالتـالى لمصلحتى على المستوى الفردى ومصلحة وطنى على المستوى العام . ولقد خرجت من هـذه التجربة الحمقاء بألم حاد مستمر فى كتفى اليمنى نشأ عن حمـل حقيبـة الظهـر الثقيلة التى كنـت أحمـل فيهـا متـاعى . وكلما ألح علـى ألم هـذه الكتـف أحمـد الله وأسأله أن يكفر بعذابى هذا ذنب استجابتى لآلة نزع المخ الجهنمية[١] .

❁ ❁ ❁

فى عام ١٩١٧ جاء القيصر ويلهلـم إلى الآستانة يـزور حليفـه السـلطان العثمانى فأرسل إليه الأتراك سرباً من الأوانس سافرات الوجوه بالزى الأوربى يقدمن له باقة زهر فتقبلها القيصر منهن و لم يقل شيئا .. ثم أول ما شاهد بعد ذلك الصدر الأعظم قال لـه : يـا طلعـت أرسـلتم لى بعـض صبيـات تركيـات بالزى الأوربى يقدمن لى باقة ثم قال له : طلعت اعلموا أنكم أمـة ليس لكـم مكانة بين الدول إلا بالإسلام ... أنتم لستم ذوى ثروة ولا عندكم صناعة ولا تجارة ولا وسائل مادية كما عند الأمم الأوربية ولكنكم معدودون مـن الـدول العظـام بسـبب واحـد هـو أنكـم علـى رأس الإسـلام، والإسـلام مئـات مـن الملايين.. فإذا أبحتم السـفور لنسـائكم وعبثتـم بعـادات قومكـم آسـفتم العـالم الإسلامى الذى كل أهميتكم قائمة به ونفر منكم المسلمون .

---

(١) مجلة الهلال – يوليو ١٩٨٣ .

فلا تفعلوا هذا، فإنكم تصبحون على ما فعلتم نادمين ..

ثم أن الشرشف عندكم شيء جميل، فلماذا تعدلون عنه ؟

وهو لباس اقتصادى يستر المرأة ويغنيها عن اتخاذ فستان كل ثلاثة شهور مرة وأنتم لا تقدرون أن تبذخوا بذخ الأوروبيين».

هذا ما قاله ويلهلم لطلعت ..

ثم قال للأمير سعيد حليم وأوصاه بالمحافظة على التقاليد الإسلامية القديمة وقال له :

نجاتكم إنما هى بها، وقال له :

«أنا وبعض بيوتات فى بلادى نحافظ على تقاليدنا القديمة ولكن قد غلبت علينا المآخذ الجديدة التى أخشى بها فساد المجتمع الأوربى كله».

❁ ❁ ❁

«ولكى نعرف خلفيات هذه القضية الخطيرة يجب أن نذكر[1] شيئا مهما هو أن كتابا ظهر فى مصر عام ١٨٩٤ (أى بعد الاحتلال البريطانى بعام واحد لمحام مصرى موال لكرومر وللنفوذ الأجنبى يدعى «مرقص فهمى» تحت عنوان «المرأة فى الشرق» صور فيه خطة الاستعمار فى المطالبة بتحقيق خمسة أغراض :

(١) القضاء على الحجاب الإسلامى .

(٢) إباحة الاختلاط للمرأة المسلمة بالأجانب عنها .

(٣) تقييد الطلاق ووجوب وقوعه أمام القاضى .

(٤) منع الزواج بأكثر من واحدة .

(٥) إباحة الزواج بين المسلمات وغير المسلمين .

---

(١) حركة تحرير المرأة فى ميزان الإسلام - الأستاذ أنور الجندى ص٢٦ وما بعدها - دار الأنصار - القاهرة .

وكان هذا المخطط هو النواة للنفوذ الأجنبي الذى تدرس على ضوئه «حركة قاسم أمين» وهدى شعراوى، ذلك أنه لم تمض سنوات خمس حتى ظهر كتاب «تحرير المرأة» فكان ذلك خطوة على الطريق ظن البعض سلامتها، فما هى هذه الخلفيات لهذا الحدث الخطير .

أولا : كتب داود بركات رئيس تحرير الأهرام بجريدته الصادرة فى ٤ يناير ١٩٢٨ مقالاً:

قال فيه :

أن قاسم أمين قرأ كتاب الدوق داركور «المصريون» ورد عليه بكتاب باللغة الفرنسية وفند اتهاماته .. فلما ظهر هذا الكتاب وصف بأنه لم يكن فى صف النهضة النسائية فقد رفع الكتاب من شأن الحجاب وعده دليلا على كمال المرأة، كما ندد بالداعيات إلى السفور وقد رأت فيه الأميرة نازلى فاضل تعريضًا بها . ثم استطرد يقول (وكانت الأميرة نازلى فاضل لها صالون يحضره سعد زغلول ومحمد عبده وجماعة من الطامحين إلى تولى السلطة فى مصر تحت قيادة النفوذ البريطانى وبرعاية اللورد كرومر) .

ويقول داود بركات متابعا :

وقد أشير على جريدة المقطم - وهى لسان الإنجليز فى مصر ذلك الوقت - أن تكتب ست مقالات عن الكتاب تفند أخطاء قاسم فى هذا الاتجاه، ودفاعه عن الحجاب، واستنكاره اختلاط الجنسين .. ثم أوقفت الحملة بعد اتفاق الشيخ محمد عبده وسعد زغلول مع قاسم أمين على تصحيح رأيه . وقد حمل الشيخ محمد عبده الدعوة إلى تحرير المرأة فى دروسه فى « الرواق العباسى «بالأزهر حين أعلن أن الرجل والمرأة متساويان عند الله .. وقد ترددت آراء كثيرة بأن الشيخ محمد عبده كتب بعض فصول الكتاب أو كان له دور فى مراجعتها . ومما أورده لطفى السيد أنه اجتمع فى جنيف عام ١٨٩٧ بالشيخ محمد عبده وقاسم أمين وسعد زغلول، وان قاسم أمين أخذ يتلو عليه فقرات من كتاب تحرير المرأة وصفت بأنها تنم عن أسلوب الشيخ محمد عبده نفسه .

ثانيا : كتب فارس نمر صاحب المقطم مقالا في مجلة الحديث (الحلبية) عام ١٩٣٩ وأشار إلى هذا الحادث فقال :

«انه ظهر كتاب للدوق داركور يطعن فيه على المصريين طعنا مرا، ويخص النساء بأكبر قسط منه . إذ رماهن بالجهل وضعف مكانتهن في المجتمع. فتطوع قاسم أمين للرد على كتابه ..

ويستطرد فارس نمر يقول :

وهنا أشير لحقيقة لا يكاد يعلمها إلا ندرة في مصر .. هذه الحقيقة أن كتاب قاسم أمين الذى رد فيه على «دوق داركور» لم يكن في صف النهضة النسائية التى كانت تمثلها الأميرة نازلى .. بل كان الكتاب يتناول الرد على مطاعن المؤلف الفرنسى، ويرفع من شأن الحجاب ويعده دليلا على كمال المرأة، ويندد بالداعيات إلى السفور واشتراك المرأة فى الأعمال العامة .. ولما ظهر كتابه هذا ساء ما به إخوانه من أمثال محمد المويلحى ومحمد بيرم، وسعد زغلول، ورأوا فيه تعريضا جارحا بالأميرة نازلى، تشاوروا فيما بينهم فى الرد واتفقوا أخيرا أن أتولى الكتابة عن هذا الموقف وعرض فصوله وانتقاد ما جاء به خاصا بالمرأة، وبدأت فى كتابة سلسة مقالات عنه .. ولكن ذلك النقد لم يرق فى نظر قضاة محكمة الاستئناف، ورأوا فيه مساسًا بهيبتهم .. لأن قاسم أفندى كان أحدهم ورأوا أن أفضل وسيلة يبذلونها لكى أكف عن الكتابة أن مؤلفه يرجو الأميرة نازلى فاضل لكى تطلب إلىّ ذلك .. وتطوع الشيخ محمد عبده للقيام بهذه المهمة . وذات مساء حضرت إلى صالون الأميرة كما حضر الشيخ محمد عبده ومحمد بيرم والمويلحى .. وبعد قليل تحدث الشيخ محمد عبده مع الأميرة فى هذا الشأن .. فالتفتت إلى سموها وقالت لى : أنها لا تجد بأسا فى أن أكف عن الكتابة فى الموضوع .. وكانت هى لم تقرأ الكتاب ولم تعرف انه يشمل الطعن فيما تدعو إليه .. فلما رأى ذلك محمد المويلحى قال لسموها : انه يدهش من طلب الأميرة وخاصة لأن الكتاب تعرض لها ..

فبدت الدهشة عليها . وكانت إحدى نسخ الكتاب موجودة عندها .. وعبثا حاولت أن أقفل باب الحديث فى هذا الشأن وخاصة بعد أن لمحت عليها معالم الاضطراب والجد والعنف .. فلما اطلعت على ما جاء به ثارت ثورة شديدة ووجهت القول بعنف إلى الشيخ محمد عبده . لأنه توسط فى هذا الموضوع .. ومرت الأيام بعد ذلك واتفق محمد عبده وسعد زغلول والمويلحى وغيرهم على أن يتقدم قاسم أمين بالاعتذار إلى سمو الأميرة .. فقبلت اعتذاره ثم أخذ يتردد على صالونها .. وكلما مرت الأيام ازدادت فى عينه وارتفع مقامها لديه.. وإذا به يضع كتابه الأول عن المرأة الذى كان الفضل فيه للأميرة نازلى، والذى أقام الدنيا وأقعدها بعد أن كان أكثر الناس دعوة إلى الحجاب ».

انتهى كلام فارس نمر :

ثالثا : أشارت هدى شعراوى فى محاضرة لها إلى هذا المعنى وكشفت هذا السر الذى ظل خافيا زمنا طويلا ولم يكشف إلا بعد وفاة قاسم أمين بعشرين سنة .

غير أن الذى يلفت النظر أن قاسم أمين عدل عن رأيه هذا من بعد، وتبين له أنه أخطأ الطريق .. وقد تبين هذا حين صرح قاسم أمين فى حديث له إلى صحيفة «الظاهر» التى كان يصدرها المحامى محمد أبو شادى حيث أعلن رجوعه، وأعلن أنه كان مخطئا فى (توقيت) الدعوة إلى تحرير المرأة .. هذا التصريح نشرته جريدة «الظاهر» فى أكتوبر ١٩٠٦ .

قال قاسم أمين :

«لقد كنت أدعو المصريين إلى تمزيق ذلك الحجاب، والى إشراك النساء فى كل أعمالهم ومآدبهم وولائمهم .. ولكنى أدركت الآن خطر هذه الدعوة بما اختبرته من أخلاق الناس .. فلقد تتبعت خطوات النساء فى كثير من أحياء العاصمة والإسكندرية لأعرف درجة احترام الناس لهن، وماذا يكون شأنهم

معهن إذا خرجن حاسرات فرأيت من فساد أخلاق الرجال بكل أسف ما حمدت الله على ما خذل من دعوتى واستنفر الناس إلى معارضتى .. رأيتهم ما مرت بهم امرأة أو فتاة إلا تطاولوا إليها بألسنة البذاء، ثم ما وجدت زحاما فى طريق فمرت به امرأة إلا تناولتها الأيدى والألسن جميعا .. التى أرى أن الوقت ليس مناسبا للدعوة إلى تحرير المرأة بالمعنى الذى قصدته من قبل».

ومعنى كلام قاسم أمين هذا الذى نشره قبل وفاته بعام ونصف عام أن قاسم أمين قد اكتشف بعد سبع سنوات من دعوته (التى جاءت استدراجا ومرضاة لنفوذ وليست خالصة لوجه الله تعالى) أنها لم تكن قائمة على أسسها الصحيحة وهى الدعوة إلى تربية الخلق والإيمان بالله، وأنها لم تكن على طريق الحق .. أو ربما أن قاسم رأى بعد أن تغيرت الظروف بزوال كرومر ووفاة محمد عبده وانطفاء نفوذ نازلى فاضل «ربيبة كرومر» أن يتخفف من هذه التبعة .

وربما كان لبعض التجارب أثرها فى نفسه .. فها هو يروى أن صديقا عزيزا زاره ذات مرة فلما فتح له الباب قال : جئت هذه المرة من أجل التحدث مع زوجك .. فدهش قاسم .. كيف يطلب مقابلة زوجته . فقال صديقه : ألست تدعو إلى ذلك ؟ إذن لماذا لا تقبل التجربة مع نفسك . فأطرق قاسم أمين صامتا . ومما يذكر أن السيدة زوجة قاسم أمين كتبت منذ سنوات تعلن أن دعوة قاسم أمين كانت خطيرة وأنها لم تكن قائمة على أساس صحيح .

وقال محمد فريد وجدى :

إن دعوة قاسم أمين قد أحدثت تدهورا مريعا فى الآداب العامة، وأحدثت انتشارا مفزعا لمبدأ العزوبة، وأصبحت ساحات المحاكم غاصة بقضايا هتك الأعراض وهرب الشابات من دور أهلهن .

ونعت الدكتورة بنت الشاطئ ما تكشف من حركة تحرير المرأة مما أسمته مهزلة أليمة موجعة .. تقول بنت الشاطئ :

«أن الرجال ساقونا لنعمل لحسابهم .. وهم يوهموننا إننا نعمل أو يعملون معنا لحسابنا .. ذلك أن الرجال زينوا لنا الخروج زاعمين أنهم يؤثروننا على أنفسهم .. ولكنهم كذبوا في هذا الزعم فما أخرجونا إلا ليحاربوا بنا السآمة والضجر في دنياهم».

ثم قالت بنت الشاطئ :

«إن المرأة دفعت ضريبة فادحة ثمنا للتطور، ويكفى أن أشير فى إيجاز إلى الخطأ الأكبر الذى شوه نهضتنا ..وأعنى به انحراف المرأة الجديدة عن طريقها الطبيعى وترفعها عن التفرغ لما نسميه : خدمة البيت ووظيفتها فى الخارج».

ونحن نرى البيوت أصبحت مقفرة منهن . أما الأبناء فتركوا للخدم . وقد نشأ هذا الانحراف الضال نتيجة لخطأ كبير فى فهم روح النهضة .

وبلغ من سوء ما وصلت إليه أن نادت مناديات بحذف نون النسوة فى اللغة كأنما الأنوثة نقص ومذلة وعار . وأهدر الاعتراف بالأمومة كعمل من الأعمال الأصلية لنا حتى سمعنا من يسأل كيف تعيش أمة برئة معطلة .. يقصد بالرئة المعطلة هؤلاء الباقيات فى بيوتهن يرعين الأولاد .. وزعموا أن المرأة تستطيع أن تجمع بين عملها فى البيت ووظيفتها فى الخارج .

انتهى كلام الدكتورة بنت الشاطئ .

❁ ❁ ❁

ويقولون : إن المرأة الشرقية (والمسلمة خاصة) تعانى من الكبت الناجم عن العزلة الاجتماعية وعدم الاختلاط، وأن المجتمع يفقد بهذا العزل التعسفى أجمل ما فيه من بهجة وانطلاق ...

يقول صاحب كتاب «معركة التقاليد» فى الرد على هذا الادعاء .

أين توجد هذه الصورة الجميلة الرفيعة التى يتحدث عنها دعاة الاختلاط؟

فى الغرب ؟ فى الشرق ؟ فى مصر ؟ فى أى بلد من بلاد الأرض ؟

هل أمريكا تعانى الكبت الجنسى بسبب عدم الاختلاط ؟

ما بالها إذن تعج بالفضائح الخلقية ؟ الفضائح التى يصل الأمر بهذا المجتمع المنحل ذاته أن يصفها بأنها فضائح ويبحث لها عن علاج .

وما بالها تعج بالشذوذ الجنسى ؟ وما بالها تعج بحوادث الطلاق التى تزيد نسبتها عن أى بلد آخر على ظهر الأرض ؟ ولعل دول الشمال فى أوروبا ينقصها الاختلاط أو التهذيب أو التوازن الاقتصادى أو الاستقرار السياسى أو أى أمر من الأمور ؟

فما بال التحلل الخلقى هناك شنيعا إلى أقصى حد ؟ الطالبة تذهب بنفسها إلى بيوت الطلبة لتستذكر معهم الدروس وتشاركهم الفراش ومعها ، قبل أن تذهب – وسائل منع الحمل من أدوات وأقراص .

أين هو الشبع الذى يحدثه الاختلاط ؟ فيغنى عن العمل الجنسى الكامل بل يغنى عن الإسراف فيه ؟ الذى حدث فى أوروبا وأمريكا هو العكس .. حدث سعار جنسى مجنون . كل الذى حدث هو التحايل للحصول على المتعة المحرمة، والمعاكسة فى الطرقات وهذه لم تختف ترفعا وإنما اختفت من شدة التيسير بين الفتى والفتاة ..

فهل هذا الذى نريده ؟ أو هذا الذى ندعو إليه إن كنا فى دعوتنا مخلصين؟

هل التهذيب فى عرفنا هو الذى نراه فى الغرب ؟ هل حين تختفى المعاكسات نعتبر أن المجتمع قد تنظف وأننا صرنا فضلاء ولو كانت البيوت والنوادى والطرقات أحيانا تتحول إلى مواخير ؟

ليس للاختلاط غير هذه النتيجة فى كل التاريخ .. كذلك كان فى أثينا القديمة وفارس القديمة والهند القديمة .. وكذلك هو اليوم بعد مئات السنين من التقدم والتطور والمدنية . وحين أوازن بين كل «التهذيب» الذى يحدثه الاختلاط فأنا أختار الأول بلا تردد ولا حاجة إلى مزيد من التفكير – وهذا هو رأى الإسلام .

الإسلام الذى جاء ليحفظ المرأة من التبذل، ويحفظ المجتمع من التحلل ويحفظ الإنسانية من الهلاك والدمار .

❁ ❁ ❁

لقد أساءت المرأة إلى نفسها، وأساء إليها الذين ظاهروها وأعانوها ممن يزعمون أنهم أنصارها . فقد كانت ريحانة تشم . فأصبحت مشكلا يتطلب الحل . وكانت عرضا يصان وأمانة تحفظ . فأصبحت حملا ثقيلا يضيق به الأب والأخ والزوج .

وفى الوقت الذى يتجرع فيه الغرب آثار خروج المرأة على فطرتها ووظيفتها، كان بعض كتابنا ومفكرينا ينادون بأن تأخذ فى ذلك الطريق الذى انتهى بالغرب إلى ما هو فيه من مشاكل ومآس وهزات تعرض أمته وسلامته للخطر .

بل أن كاتبة مصرية ذهبت إلى أبعد من كل هذا فطالبت بإلغاء كل القوانين التشريعية سواء أكانت هذه القوانين إسلامية أو غير إسلامية .. والقوانين التى تطالب بإلغائها هذه الكاتبة الصحفية هى قوانين الإرث والطلاق والنفقة والحضانة وتعدد الزوجات .

ومن العبث – كما تقول هذه الكاتبة – أن نتوقع خيرا قبل أن نقضى على هذه التشريعات ونسوى بين الرجل والمرأة فى الميراث[1] ..

---

(1) أمينة السعيد فى مقال نشر لها بمجلة الهلال عدد يناير ١٩٥٥ .

ترى بأى لسان كانت تتكلم هذه المرأة ؟ وهل الخروج على الدين والتقاليد هو الهدف مما يسمى ب «تحرير المرأة»؟ .

فى الستينات زارت الكاتبة الأمريكية «هيلين ستانبرى» مدينة القاهرة، وفى مؤتمر صحفى سألها أحد المحررين بصحيفة الجمهورية عن رأيها فى المرأة المصرية والمرأة الأمريكية . فأجابت قائلة :

إن المجتمع المسلم مجتمع كامل وسليم، ومن الخليق بهذا المجتمع أن يتمسك بتقاليده التى تقيد الشاب والفتاة - فى حدود المعقول - إن هذا المجتمع يختلف عن المجتمع الأوروبى والأمريكى، فعندكم تقاليد موروثة تحتم تقييد المرأة وتحتم احترام الأب والأم بل وتحتم اكثر من ذلك عدم الإباحية الغربية التى تهدد المجتمع والأسرة فى أوروبا وأمريكا . ولذلك فإن القيود التى يفرضها المجتمع الإسلامى على الفتاة الصغيرة - وأقصد ما تحت العشرين - هذه القيود صالحة ونافعة، ولهذا أنصح بأن تتمسكوا بتقاليدكم وأخلاقكم وامنعوا الاختلاط وقيدوا حرية الفتاة . بل ارجعوا إلى عصر الحجاب فهذا خير لكم من الإباحية والانطلاق ومجون أوروبا وأمريكا . ! ! !

امنعوا الاختلاط . لقد عانينا منه فى أمريكا الكثير ولقد أصبح المجتمع الأمريكى مجتمعا معقدا مليئا بكل صور الإباحية والخلاعة، وان ضحايا الاختلاط والحرية يملئون السجون والأرصفة والبارات والبيوت السرية .

إن الاختلاط والإباحية والحرية فى المجتمع الأوروبى والأمريكى هدد الأسر وزلزل القيم والأخلاق .. فالفتاة الصغيرة تحت سن العشرين فى المجتمع الحديث تخالط الشباب وترقص التشاتسا وتشرب الخمر وتدخن السجاير بل وتتعاطى المخدرات باسم المدنية والحرية والإباحية.

والعجب بل والعجيب فى أوروبا وأمريكا أن الفتاة الصغيرة تلعب وتلهو وتعاشر من تشاء تحت سمع عائلتها وبصرها بل وتتحدى والدها ومدرسها

والمشرفين عليها . تتحداهم باسم الحرية والاختلاط، وتتحداهم باسم الإباحية والحرية والانطلاق . تتزوج فى دقائق وتطلق بعد ساعات ولا يكلفها هذا أكثر من إمضاء وعشرين قرشا وعريس لليلة أو لبضع ليال . وبعدها الطلاق وربما الزواج فالطلاق مرة أخرى .

ولا حول ولا قوة إلا با لله ...

۞ ۞ ۞

وفى هذا الحوار مع طالبات جامعة سان دى فنسنت ... بمدينة سيدنى تتجلى هذه الحقيقة وتتحدى .. ويتصدى الإسلام - بقيمه ومثله - للعبث والمجون والفوضى ..



﴿٢٩﴾

سقوط الأقنعة

لازمت الفراش بسبب نزلة برد شديدة ... وانقطعت عن العمل مدة عشرة أيام كاملة. كان «الراديو» هو تسليتى الوحيدة، وكانت إذاعة البرنامج العام هى رفيقى فى هذه الإجازة.

وذات يوم نهضت من الفراش ... وضغطت على مفتاح الجهاز... ما هذا ؟ مستحيل أن يكون هذا الصوت قادما من القاهرة..؟ من موسكو؟ أعتقد أنها إذاعة موسكو العربية.. فالعبارات تفوح رائحتها بالأيدلوجية الكريهة..! وكلمات : إمبريالية.. وتقدمية.. ورجعية التى سمعتها لأول مرة منذ أربعين عاما على لسان بعض الشيوعيين فى مقهى « زهرة إيران» الذى كان معروفا بحى خان الخليلى تكررت على لسان المتحدثة أكثر من مرة وعدت لأتأكد من ضبط المؤشر .. يا للكارثة..ّ إنها إذاعة القاهرة. والصوت الذى أسمعه كان صوت امرأة شيوعية معروفةّ ومقدمة البرنامج كانت من السذاجة بحيث لا تعرف الفرق بين حرف الألف فى اللغة العربية وبين أعمدة الكهرباء فى شوارع القاهرة!!!

وفجأة وجدتنى انتفض من الدهشة .. واتجه إلى الجهاز «التليفون» لأطلب رئيس الإذاعة وأحدثه عما سمعت من افتراءات على الإسلام وموقفه من قضية المرأة.

لقد أمر الرجل بإيقاف البرنامج .. كما أمر بإجراء تحقيق مع المسئول عن تقديمه على هذا النحو الشيوعى الصارخ..

هل تصدقون.. أن «الحجاب» اختراع «إمبريالى» روج له الاستعمار فى البلاد الإسلامية وهل تصدقون أن دول الغرب الصليبية تقف من وراء «الصحوة الإسلامية» لتكون مخلب قط فى مخططاتها الاستعمارية؟!

وهل تصدقون أن حفاظ المرأة المسلمة على شخصيتها وعلى تقاليد دينها مظهر من مظاهر التخلف والرجعية وعقبة فى طريق التطور ورفع مستوى الإنتاج فى الدول الفقيرة..

لقد سمعت هذا كله فى الحوار مع هذه المرأة الشيوعية. وهى شيوعية معروفة فى تحيزها للاتحاد السوفيتى أى الوطن الأم كما أنها عريقة فى الهجوم والتشنيع على أمريكا أو «الوحش الرأسمالى المستغل»..! آمنا .. وصدقنا ...!

ولكن تعالوا معى لترووا عجبا. ولتروا كيف أصبح هؤلاء الشيوعيين لأمريكا ذيلا.. وذنبا !!

فى القاهرة .. وفى الفترة ما بين أول سبتمبر ١٩٨٦ إلى الثالث من هذا الشهر عقد مؤتمر نسائى فى فندق « هيلتون» ..! يعنى فندق أميركى ..!! وكان هذا المؤتمر تحت عنوان«المؤتمر الدولى للتحديات التى تواجه المرأة العربية فى القرن العشرين» وكان شعار هذا المؤتمر « قوة النساء. التضامن رفع الحجاب عن العقل».

الذى حدث هو العكس فقد وضعت كل واحدة منهن حجابا على العقل. والعين والقلب..!!

سأكتفى بنقل وقائع هذا المؤتمر كما كتبت فى الصحف لا أعنى الصحف القومية. بل أعنى الصحف ذات الصبغة الشيوعية أو تلك التى تبتعد

عنها بمقدار درجة أو درجتين بمقياس «رختر» المعروف فى قياس قوة الزلازل التجريبية.

ولنبدأ بمجلة «روز اليوسف»...

لقد سجلت هذه المجلة وقائع هذا المؤتمر تحت عنوان « خناقة النساء فى الغرفة رقم(١١) فماذا قالت هذه المجلة:

كان كل شيء يسير طبيعيا .. حتى تفوهت د/ نوال السعداوى بذكر أسماء الهيئات والمؤسسات التى «تجرأت» وساهمت فى تحمل تكاليف المؤتمر الأول للمرأة العربية الذى عقد أول هذا الشهر بمقر جامعة الدول العربية بالقاهرة..

قامت الدنيا و لم تقعد لأن من بين المساهمين إحدى الشركات الأمريكية.. وهذا يعنى العمالة وبيع القضية والإمبريالية وعدوان الشركات متعددة الجنسية...

بحت الحناجر بعبارات الاستنكار، وسالت الدموع من العيون.. لتأبين المرأة العربية وقراءة الفاتحة على روح شهداء القضية الفلسطينية!

و........

تحول الفرح إلى مأتم جاءت الضربة هذه المرة من « النسوة التقدميات «.. رغم أن المؤتمر رفع شعار «رفع الحجاب عن العقل» .. وكان متوقعا أن تكون الردة من أهل اليمين وليست من سيدات اليسار....

وخرجت المرأة العربية فى أول امتحان حقيقى لها لتقول للرجال «المتربصين» بقضيتها : كانت خطواتنا الأولى« للخلف در» !

هذا المؤتمر الذى رفع شعار مناهضة الإمبريالية قبل دعما إمبرياليا.... فهل الشركة الممولة من السذاجة بحيث تدفع أموالا لإنجاح مؤتمر ينادى بالقضاء عليها؟!

ردت السودانية فاطمة باباك : لقد عانينا كثيرا مشقة السفر للحضور إلى القاهرة أملا فى حضور مؤتمر تاريخى هام.. وليس المهم الآن كيف يمول المؤتمر.. ولكن الأهم هو أن ننجز ما جئنا من أجله.. ولو ضاعت الفرصة سيحكم على جيلنا كله بالبلادة، لأننا تركنا الأصل وتشبثنا بالهوامش.؟! عجبًا...!!

علق صوت غاضب : ازاى يعنى تيجى إسرائيل تمولنا وأقول ميهمنيش؟

وقالت فتاة شابة كست نبرات صوتها بالمرارة : أنا فتاة من جيل الزمن الردىء .. خبرتى علمتنى ألا اعتمد على أى شخص مهما كان تاريخه .. فمنطق الزمن الردىء هو الشك فى كل شىء وعدم الثقة بأى شىء وأنا لا أثق فى أى أحد. معها حق..!

و....

سادت لحظات هدوء.. أعقبتها مفاجأة الكاتبة السورية حميدة نعنع. قالت بغضب : أنا ضد أى شكل من أشكال التمويل الإمبريالى الأمريكى .. جسدى ينتفض حتى لو سمعت اسم «اليزابيث تايلور» لأنه لم يعد فى الجسد العربى ولو جزء صغير فى حجم الدبوس لم تنله المؤتمرات الأمريكية.

ولهذا .....

أقدم استقالتى من الجمعية «وأخرجت استقالة مكتوبة قدمتها للدكتورة نوال السعداوى» وأضافت : هذه الخطيئة الصغيرة تبدد كل شىء، لآن قبول الدعم المادى الأمريكى «صعب كتير» وروسيا ...أيضا ؟!

وتقول « صحيفة الأهالى» عندما سألت إحدى المشتركات عن مصادر تمويل هذا المؤتمر أجابت د. نوال السعداوى - رئيس المؤتمر، ورئيسة جمعية تضامن المرأة العربية، أن هناك بالفعل جهات أجنبية، قامت بتمويل المؤتمر، فقد أرسلت رسائل إلى ما يقرب من مائة جهة لتمويل المؤتمر، واستجابت لها ثلاث جهات فقط هى : جمعية «نوفيك» الهولندية، ومكتب مؤسسة«فورد فونديشن» الأمريكية بالقاهرة، ومكتب «اكسفوان» الأجنبى بالقاهرة.

وأضافت د. نوال أن مكتب مؤسسة فورد فونديشن بالقاهرة- الذى ترأسه بربارا إبراهيم زوجة د. سعد الدين إبراهيم بالجامعة الأمريكية بالقاهرة، هو الذى تحمل نفقات سفر المشاركات فقط وتحملت المكاتب الأخرى باقى النفقات.

وقالت د/ نوال - فى كلمتها- أن مكتب هيئة المعونة الأمريكية بالقاهرة «الايد» سوف يتحمل نفقات طبع كتاب باللغة العربية والإنجليزية لأهم الأبحاث والدراسات التى نوقشت فى لجان المؤتمر وذكرت أن مساعدات هذه الجهات لم تكن مشروطة بحال، و لم تتدخل فى أعمال المؤتمر أو اختيار المدعوات، و لم تفرض أية مطالب أو توصيات على المؤتمر ومن ثم فلا مجال لإثارة الشكوك.

وهنا وقفت الكاتبة فتحية العسال عضو الاتحاد النسائى بحزب التجمع، وأعلنت اعتراضها على كلمة د/ نوال، وطالبت بحقها فى الرد، إلا أن د/ فاطمة بابكر رئيسة الجلسة رفضت ذلك لآن الوقت قد انتهى، فأصرت فتحية على ضرورة التعقيب «لخطورة» ما جاء على لسان د/ نوال حيث إن هذه المكاتب «مشبوهة بحكم صلاتها الوثيقة بأجهزة المخابرات الأمريكية».

حاولت بعض المشاركات التدخل لدى د/ فاطمة للسماح بمد الوقت - ولو عشر دقائق لمناقشة ما أثارته د/ نوال لكن د/ فاطمة رفضت رفضًا قاطعًا، وانتهت الجلسة وغادرت القاعة، وهنا أعلنت فتحية العسال انسحاب الاتحاد النسائى من المؤتمر

وفى أعقاب انسحاب الاتحاد، أعلنت لجنة الدفاع عن المرأة والأسرة انسحابها وكذلك مجموعة بنات الأرض المحتلة، جمعية المرأة الجديدة، واتحاد المرأة الفلسطينية وعدد من أعضاء الحزب الناصرى تحت التأسيس .

كما أعلنت بعض عضوات جمعية تضامن المرأة انسحابهن من المؤتمر والجمعية معا مثل د/ هدى لطفى « لعدم معرفتهن المسبقة بتمويل المؤتمر من قبل المكاتب الأجنبية».

وبمغادرة د/ فاطمة بابكر القاعة، ومعها د/ فاطمة الميرنيس ود/ نوال السعداوى - رفض الكثير من المشاركات الخروج، وقمن بعقد اجتماع استمر أكثر من ساعة تحدثت فيه د/ ناهد طوبيا من السودان عن موقف د/ فاطمة بابكر ووصفته بأنه خطأ - كما تحدثت عن «مسألة التمويل «بوصفها» خطأ كبير حيث كان من الضرورى إعلان جهة التمويل حتى تستطيع الباحثات والمشاركات العربيات أن يقررن الحضور أو عدم المشاركة.

كما تحدثت د/ ليلى عبد الوهاب - الأستاذ بجامعة بنها - عن موقف جمعية تضامن المرأة من المكاتب الأجنبية، وكيف سبق لها التعاون مع مؤسسات غربية- وهى مؤسسة فورد على وجه التحديد - فى مؤتمر نيروبى عام ١٩٨٥ حيث قامت بدفع نفقات السفر لعدد من أعضاء الجمعية. وأشارت د/ ليلى إلى أن عدم الإعلان عن جهة التمويل يعد «خطأ» فى طريقة التحضير للمؤتمر كما يلقى بظلال على أهدافه المعلنة، مما يسىء للحركة النسائية العربية.. طبعا ..

أما السيدة «نفيسة عابد» فقد كتبت تقول فى مجلة أكتوبر تحت عنوان «حجاب العقل أم حجاب الجسد» ؟

كم تمنيت أن يكون مؤتمر المرأة الذى عقد أخيرا فى إحدى قاعات الجامعة العربية بالقاهرة ذا نفع حقيقى للمرأة وقضايا للمرأة .. وكم تمنيت أن

تهدر المرأة بنفسها الفرص الحقيقية التى تسنح لها لإبراز قدرتها على التفكير والحوار والعمل لكى تؤكد أحقيتها كما تريد... أو بما تطالب به

ولكن التمنى شيء .. والحقيقة شيء أخر .. فكل ما سمعته من بعض السيدات اللاتى حضرن بعض جلسات المؤتمر يجعلنى أحس بالإحباط الشديد.. كأن تتحول محاضرة أحد الأساتذة إلى محاضرة شخصية للرد على ندوة دينية أقيمت منذ فترة ونشرت بعض إضافات جديدة إلى الفكر والثقافة ... تقصد [د.ف.ز] الشيوعى قلبا .. وقالبا...؟

ولست أدرى لماذا يهاجم الإسلام من بعض الذين يدعون أو يدعون الدعوة إلى حرية المرأة، أو المطالبة بحقوقها ؟ فهذا الهجوم يحمل فى طياته ما يقنعنى تماما بعدم صدق دعواهم!

لقد أعطى الإسلام المرأة حقوقها لأول مرة فى التاريخ البشرى بعد أن طال ظلمها .. ومن يجرؤ على المعارضة فعليه أن يقرأ أولا كل القوانين السابقة فى العالم الغربى والشرقى على السواء.. لقد فرض الإسلام الحقوق والواجبات على المرأة والرجل معا.. ومحاولة الادعاء بأن الإسلام يفرض قيودا على المرأة ادعاء مرفوض، إلا إذا اعتبرنا الفوضى حرية.. لقد كفل الإسلام للمرأة مجموعة من الحقوق لم تكن لتنالها لولا الإسلام والحقيقة المؤكدة .. أن عدم تطبيق الإسلام كما شرعه الله هو الذى يجعل موازيننا تختل فنرى الأمور على غير شكلها الحقيقى !

ولست أدرى لماذا يسبب حجاب المرأة أو احتشامها كل هذا الرعب... ولماذا كل تلك المحاولات للإيقاع بين المرأة وتعاليم الإسلام؟.

هل يعنى شعار رفع الحجاب عن العقل - كما قالت شعارات المؤتمر- رفع الملابس أيضا؟ كنت أتصور أن رفع حجاب العقل هو دعوة إلى التعليم ومحو الأمية والثقافة والإحساس بالكرامة والآدمية .. كنت أتصورها دعوة إلى

صيانة المرأة جسدا ونفسا وروحا.. ولم أتصورها أبدا معركة مفتعلة وتصفية حسابات شخصية .. وأموال مستوردة لحرب الدعوة إلى الله والدخول في دينه .

وصدقوني .. أن حجاب الجسد أفضل كثيرا من حجاب العقل

وفي تقييمه لهذا المؤتمر، وتسليط الضوء على ما وقع فيه من مساخر يقشعر لها البدن كتب الأستاذ احمد الملا في مجلة آخر ساعة مقالا يكشف القناع عن هذه المأساة أو الملهاة التي أثارت كل هذا الجدل، وأساءت إلى المرأة إساءة لا تمحى بمرور الزمن.

يقول الأستاذ أحمد :

حينما تلقيت دعوة لحضور المؤتمر الدولي عن التحديات التي تواجه المرأة العربية في نهاية القرن العشرين الذي عقد في مبنى الجامعة العربية بالقاهرة فوجئت ببرنامج المؤتمر وكأنما هو «منشور ثوري بإعلان الحرب على الرجال» فقد جاء فيه :

إن مؤتمر تضامن المرأة العربية هو أحد الأنشطة التي تستهدف الوقوف في مواجهة موجة التعصب والرجعية التي اجتاحت العالم العربي والتي تقف وراءها وتعضدها الشركات المتعددة الجنسية وقوى الاستعمار الجديد !

(الحمد لله أنه الاستعمار الجديد بس وليس الجديد والقديم !) وهذه الموجة من التعصب والرجعية تهدد مستقبل الشعوب العربية جميعا وفي الوقت نفسه توجه ضرباتها بشكل خاص إلى النساء (اشمعنى؟) فالمرأة هي الضحية الأولى في كل هجوم يشن على حركة تحرير الشعوب وحقوقها الأساسية !

ثم يستطرد البرنامج فيقول : إن من أهداف المؤتمر دراسة مظاهر وأسباب الهجمة الرجعية والسلفية ضد حقوق المرأة وتحديد الأهداف والوسائل التي تساعد على الوقوف في مواجهة هذا الهجوم الضاري على حقوق المرأة

ومحاولات النيل من وضعها وتقوية الروابط بين النساء العربيات ليصبحن قوة فاعلة ومؤثرة حتى ينلن حقوقهن كاملة!

إن من يقرأ هذا الكلام لابد وأن يتصور أن هناك قوى عاتية تهدد المرأة وان هذه القوى تضم الاستعمار والقوى الرجعية والسفلية والشركات المتعددة الجنسية وقد أخذت جميعها فى حشد الجيوش الجرارة والأسلحة الفتاكة لشن الهجوم الأخير على معاقل المرأة العربية!

ولاشك انك بعد أن تقرأ هذا الكلام ستجد الدم يغلى فى عروقك وستقف متحفزا وقد أمسكت بسلاحك استعدادا لصد الهجوم الضارى الذى تعده الشركات المتعددة الجنسية ضد المرأة ولكنك سرعان ما تكتشف من المناقشات التى ثارت فى نهاية المؤتمر بين المشتركات فيه أن هذه الشركات الملعونة المتعددة الجنسية التى ستشن الهجوم ضد المرأة هى نفسها التى قامت بتمويل المؤتمر ودفعت لرئيسته وعضواته كافة المصروفات بما فى ذلك فواتير الإقامة فى أفخم الفنادق مع النثريات والبقاشيش ! !

لقد انصب معظم أبحاث المشتركات فى المؤتمر على ما تعانيه المرأة العربية من ذل وعبودية وهوان ! ففى كلمة السيدة فاطمة إبراهيم(السودان) قالت إن الفكر المعادى للمرأة ساد بسيادة العصر الأبوى والمجتمع العبودى ثم المجتمع الإقطاعى ولا زالت المرأة فى معظم أنحاء العالم تكتوى بنيرانه !! .

وأوردت المتحدثة بعض الأمثلة الطريفة والمسلية عما كانت تعانيه المرأة قديما ولعلها أوردتها لإغاظة الرجل وتحسره على ما كان يتمتع به فى سالف العصر والأوان ! .

قالت إن الكاهن عند الآشوريين والبابليين كان يجمع العذارى مرة كل عام ويبيعهن بالمزاد العلنى ! وبعد الشراء إذا لم تعجب الفتاة الشارى فمن حقه أن يردها ويسترد ثمنها! وفى الهند كانت المرأة تحرق بعد وفاة زوجها !

وفى اليابان كانت تركـع المرأة أمـام الرجـل وتخلـع حذائـه وفـى إنجلـترا كانت المرأة تباع فى الأسواق وبلغ ثمنها فى بعض الأحيان شلنين !.

وفى الصين انتشر نظام السرارى وبلغ عدد زوجات الإمبراطور - كن - ثلاثين ألف زوجة! (فقط لا غير) .. أما العـرب فكـانوا أشـد حزمـا إذ كـانوا يئدون البنات.

وأضافت المتحدثة إن المرأة بالرغم من تحسن وضعها فى الوقت الحالى إلا أنها فى النظام الرأسمالى لم تنل المساواة الكاملة بعد. بينما تحققت هذه المساواة مع الرجل فى ظل النظام الاشتراكى!.

وأوردت المتحدثـة بعـض الإحصائيـات للمقارنـة بيـن وضـع المـرأة فـى الولايـات المتحـدة والاتحـاد السـوفيتى فقـالـت إن نسـبة النسـاء العـاملات فـى الولايات المتحدة بلغت ٢٪ من عدد القادرات على العمـل بينمـا بلغـت هـذه النسبة ٩٤٪ فى الاتحاد السوفيتى. كما أن نسبة النسـاء فـى المجلـس التشـريعى (الكونجرس) فى الولايات المتحدة بلغت ٤٪ بينما بلغت هذه النسبة فى المجلس التشريعى بالاتحاد السوفيتى ٣٢٪ لقـد هللـت المتحدثـة لهـذا البيـان وفاتهـا أن المرأة فى الولايات المتحدة بعد أن نالت حريتها الكاملة ومساواتها مـع الرجـل منذ أوائل هذا القرن فضلت- بإرادتها الحرة رعاية منزلهـا وزوجهـا وأولادهـا بينما المرأة فى الدول الاشتراكية مرغمة على العمل مهمـا بلغـت مشقته وقـد شاهدت فى بعض الدول الأوربية الشيوعية نساء عواجيز قد انحنـت ظهورهـن وهن يقمن بكسح الثلوج المتراكمة فى الشوارع لدرجة من البرودة بلغت ٢٠ تحت الصفر فذكرنى هذا المنظر المؤلم بما كنـا نقـرأه عـن أعمـال السـخرة !. وهنيئًا للمرأة مساواتها بالرجل فى مثل هذه الأعمال الشاقة.؟!

أما الدكتورة نوال السعداوى وهى رئيسة جمعية تضامن المرأة العربية فقـد قالت فى البحث الذى قدمته للمؤتمر: إن الرجل فى مصـر وفـى معظـم البـلاد العربية لم يعد يرفض خروج المرأة للعمل لكنه يرفض خروجها للمشـاركة فـى

الأنشطة السياسية أو الثقافية. وهذه عبارة مغلوطة لآن المرأة بطبيعتها وبإرادتها الحرة لا تميل إلى الاشتراك فى الاجتماعات السياسية - المرأة فى مصر لها حق الانتخاب فلنقل إلى الدكتورة كم عدد النساء - المتعلمات - اللاتى يستعملن هذا الحق ؟-! وقد أكدت الدكتورة زينب شاهين الباحثة بالمركز القوى للبحوث الاجتماعية عدم اهتمام المرأة بالشئون السياسية وذلك فى بحثها الذى قدمته للمؤتمر وجاء فيه:« أن المرأة فى مصر تعتقد أن العمل السياسى هو من اختصاص الرجال وان انخراط المرأة فى العمل العام يهدد إنوثتها !» وفى نفس الوقت فإن المرأة تفضل المشاركة فى النشاط الاجتماعى والثقافى ولدينا فى مصر عشرات من الجمعيات النسائية التى تؤدى أجل الخدمات فى هذه الميادين التى تحتاج إلى ما تمتاز به طبيعة المرأة من صبر وعطاء وحنان.

ثم تقول الدكتورة نوال إن الدستور المصرى الذى نص على مساواة المواطنين فى الحقوق والواجبات العامة وعدم التمييز بينهم بسبب الجنس أو اللغة أو الدين عاد وسلب المرأة هذه المساواة بالرجل فى ميادين الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية إذا أخلت المساواة بأحكام الشريعة الإسلامية.

ووصفت الدكتورة القوانين القائمة على أحكام الشريعة الغراء بأنها تفتقد الأساس الأول- للعدالة وتقوم على التفرقة بين الناس على أساس الدين والجنس وبذلك تدخل ضمن القوانين العنصرية - هكذا تقول الدكتورة- مثلها فى ذلك مثل جنوب أفريقيا أو إسرائيل (! !) - حيث يفرق بين الناس على أساس الدين والجنس!! .. يا للعار .. والجهل.. !!

«انتهى كلام الدكتورة !»

والواقع أننى لم أقرأ فى حياتى كلاما أشد استفزازا للشعور الدينى والوطنى من كلام الدكتورة التى واصلت طعنها فى القيم الروحية الإسلامية فقالت :

نرى تحديثا من فوق السطح أو تنمية شكلية تنفق الملايين على استيراد الكماليات أو ترميم قبة حجرية قديمة !- وتعنى بذلك ما تقرر من تمويل عملية ترميم قبة المسجد الأقصى المبارك فى القدس ! فهل غاب عن الدكتورة أن المسجد الأقصى هو أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ؟ وانه فى الحديث الشريف عن النبى -صلى الله عليه وسلم - :«لا تشد الرحال إلا لثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدى هذا والمسجد الأقصى». وهل نسيت الكاتبة إن إسرائيل منذ احتلالها للقدس عام ٦٧ وهى تعمل على إعادة بناء هيكل سليمان على أنقاض المسجد الأقصى؟.

وكيف تشبه الدكتورة معاملة المرأة فى المجتمع الإسلامى بمعاملة الملونين فى جنوب أفريقيا والعرب فى إسرائيل؟ـ! لقد كرم الله المرأة فى الإسلام فمنحها الحرية والرعاية و الاحترام وأصبحت لها ذمة مالية مستقلة ولها حرية اختيار الزوج وحق التطليق للضرر ولو كان إشاحة الزوج بوجهه عنها! كما حمل الزوج مسئولية الإنفاق على زوجته - حتى لو كانت غنية.

إن ما رددته بعض المشتركات فى المؤتمر عن المخاطر المزعومة التى تهدد المرأة العربية وما يتخيلن عن مؤتمرات دولية وأسلحة ذرية تتربص بها للفتك بمكاسبها وإعادتها إلى العصر الحجرى وعهد العبودية والحريم هذه التخيلات العبيطة قد أصبحت تثير من السخرية أكثر مما تثير من الاهتمام !والحمد لله النساء لم تطل عليهن هذه الخزعبلات وانتهى المؤتمر النهاية المتوقعة لمثل هذه المؤتمرات التى تحارب طواحين الهواء!

لقد احتدم الخلاف بين بعض الزعيمات والمتزعمات حول تمويل المؤتمر ودور الشركات المتعددة الجنسية فيه وعلا الصراخ والصياح والشد والجذب وتطاير الشرر من العيون واهتزت القاعة وكاد الأمر يتطور إلى تلاحم بالأيدى ومعارك تنشب فيا الأظافر وتشد فيها الشعور. ولكن ربنا ستر.. واكتفت معظم الحاضرات بالانسحاب وانفض المولد وأسدل الستار !!!!

ويا للعار!!!!!

وبعد:

فأريد أن تعى كل مسلمة وكل مسلم أبعاد هذه المؤامرة التى تستهدف المرأة المسلمة وتحاول تجريدها من كل فضيلة.. ومن كل ماله فى هذه الحياة قوة وقيمة.

ولنتساءل جميعا ... كيف تم التنسيق بين موسكو وواشنطن فى هذا المؤتمر ؟! وكيف تم التوفيق بين الرأسمالية والشيوعية في هذا الحوار؟! وكيف تم الصلح بين القوتين العظميين بدون سبب واضح يدعو إلى إيقاف إطلاق النار؟!

انه الإسلام ... الإسلام الذى يجاهرونه بالعداء . ولن يصاب هذا الإسلام ما بقيت المرأة متمسكة بشريعته السمحاء...

فلتكن المرأة المسلمة هى المدخل ..، أو حصان طراوده الذى يصيبه فى مقتل. ولا بأس أن يقود هذا الحصان أميركى يضع على رأسه قبعة رعاة البقر! أو شيوعى يمسك بيديه الشرشرة والمنجل!!!

المهم .. أن تنجح المؤامرة .. ويتم القضاء على شخصية المرأة المسلمة. ويمكرون ويمكر الله.. وستبقى «المرأة المسلمة» صخرة تتحطم عليها سيوف الملاحدة المارقين فى أى اتجاه..

﴿٤٢﴾

في محكمة التاريخ

دهشت كثيرا حين وجدت ناشرا واحدا للكتب يعرض في وقت واحد ثلاثة كتب لمؤلف واحد تلك في حساب التجارة المكتبية مغامرة غير مأمونة العواقب، لأن الناشر وهو صاحب رأس المال حريص على أن ينتشر كتابه ويصل إلى أيدي القراء، ومن المنطقي بل يندر أن قارئا واحدا يشتري في وقت واحد ثلاثة كتب لمؤلف واحد، لأنه يفضل في الغالب إذا اشترى هذا العدد أن تكون لثلاثة مؤلفين.

حين تناولت الكتب الثلاثة ووجدت مؤلفها هو الدكتور عبد الودود شلبي الأمين العام للدعوة الإسلامية بالأزهر زالت دهشتي أو كادت، فالكاتب صاحب قدم ثابتة في موضوعه،يمتع القارىء ببساطته الموضوعية وإحاطته للقضية التي يعرضها، والمامه بجوانب المناقشة وهو يدافع عنها، حتى أنه يضطر المعارض من تلقاء نفسه إلى التسليم بما يقول، ومؤلفاته في سوق الكتاب لا ينقصها الرواج.

ولما قرأت الكتب واحدا بعد الآخر كانت نهاية المطاف مع الذي يحمل عنوان هذا المقال في محكمة التاريخ وهي كلها ذات موضوعات ثلاثة، لكنها متكاملة فهي تشمل ثلاثة جوانب من قضية الإسلام مع أعدائه، تضم مكانة

كتابه بين الكتب المساوية التى سبقته، وكيف أنه النص الإلهى الوحيد الباقى بلا تبديل ولا تحريف، وكذلك الإسلام كنظام للحياة بين المؤمنين به فى معاملاتهم لمخالفتهم فى الدين، ثم قضية المرأة فى الإسلام مقارنة بها فى غير الإسلام من الديانات وفى المجتمعات الغربية.

ومنطق الكتب الثلاثة جديد فى عالم التأليف فهو إلى جانب النظريات التاريخية يأخذ شكل الحوار مع انه ليس مسرحيا، وإنما أتيحت للمؤلف سنوات من الحياة فى استراليا ممثلا لرابطة العالم الإسلامى ورئيسا للمركز الإسلامى بها وشيخا لمسجد المركز، ولأن المؤلف عاش حياته جواب آفاق فى كل بلاد الدنيا، فقد كان كذلك جواب آفاق استراليا نفسها. فقد بدأ باستضافة القساوسة والراهبات والشباب من الجنسين إلى ندوات بالمسجد يجرى فيها حوارا عن الإسلام والمسلمين، وثارت القضايا الحادة التى هوجم فيها الدين وأتباعه بضراوة لكن الدكتور عبد الودود شلبى كان يمسك بالزمام فى هدوء عالم صادق، وسرعان ما تخف الضراوة وتهدأ القلوب ويكون الاقتناع...

تقديرا لهذا الداعية المسلم تلقى دعوات من القساوسة والشباب لعقد ندوات فى كنائسهم يتحدث فيها إلى الناس فيما يريدون أن يعرفوه عن الإسلام، ويزيد على ذلك بأن يوضح من استقراء التاريخ كيف دخل الإسلام إلى بلادهم، وكيف تغلب أثناء الرحلة الأولى على مشكلات الطريق من قلة الماء والطعام والراحلة، ولو أنه بعد ذلك وجد الجو الطبيعى لامتدت رقعته أكثر وأكثر على أرض استراليا، تلك القارة البكر، فى أرضها وثرواتها وعقيدة الناس الدينية فيها.

وكم شملت المناقشات من هموم وأحزان الإنسان المعاصر فى الحضارة الحديثة أو ما يسمى كذلك أو أوروبا وأمريكا واستراليا وغيرها من بقاع الأرض التى تتخذ من العلمانية حياة لها فضلت ولم تجد الطريق، وسيأتى عليها

يوم قريب وقد تاه الإنسان فيها وهو يسلم نفسه تماما إلى الخمر والمخدرات والجنس بعيدا عن القيمة العليا فى اتصال الأرض بالسماء والتى تتمثل أعظم ما تتمثل فى الإسلام.

وإذا كانت هذه إشارة إلى ما فى الكتب الثلاثة من جلسات للحوار فقد طاف المؤلف بمن حاورهم فى مجالات أخرى عديدة يكشف لهم ما خفى عنهم وما جاز عليهم من ضلالات الثقافة التى استهدفت الإسلام وهى بعد ذلك نوع جديد من أدب الرحلات وأدب الدعوة الإسلامية في وقت سواء.

للأستاذ عبد اللطيف فايد

نائب رئيس تحرير جريدة الجمهورية

القسم الأول من الحوار

- جامعة للبنات فى حى الدعارة..
- تجربتى ... مع راهبات الحقد والكراهية...
- هكذا كانت المرأة قبل الإسلام ...
- ماذا فى الإنجيل والتوراة ...؟
- كل النساء ... إلى الجحيم .
- امرأة ... بشلنين فى كنيسة.
- عندما كان القانون الإنجليزى يبيح بيع الزوجة..
- إيطالى يشترى زوجة رجل بالتقسيط..
- مأساة الطالبة ... آليصابات.
- وهذا هو الإسلام.
- شبهات والرد عليها...
- نعم .. ولكن .. عن عمل المرأة.
- ماذا تقول أستاذة إنجليزية...؟
- تقرير عن الديلى ميل..
- الخديعة الكبرى..
- انهيار .. وضياع..

﴿٤٧﴾

كان يوما مطيرا من أيام الشتاء الشديد البرودة فى مدينة سيدنى حين تركت القطار فى المحطة الرئيسية بوسط المدينة.

واتجهت من فورى إلى مسجد الملك فيصل فى شارع الكومونولث لأجد فى انتظارى سيدة تحمل خطابا تدعونى فيه لإجراء حوار مع طالبات «جامعة سان دى فنسنت» فى حى كينجز كروس.

- أهذا معقول ..؟ قلتها فى نفسى بعد أن فرغت من قراءة هذه الرسالة.. فهذا الحى .. حى «كينجيز كروس» هو حى الدعارة... والمرور فى هذا الحى - بجرد المرور- فيه شبهة ... فكيف توجد للبنات - فى هذا الحى جامعة؟

إلا أن الأمور لا تقاس بهذه المقاييس فى حال الضرورة.. والداعى المخلص لا يتخلى عن دعوته فى أقسى الظروف ضراوة ووحشية..

لقد ظهر فى الستينات من هذا القرن كتاب عن«ألبرت شفيترز» اسمه We are all Brothers ولقد ترجم إلى اللغة العربية تحت عنوان «كلنا أخوة».

وفى هذا الكتاب تتحدث المؤلفة الأمريكية تشارلى ماى سيمون عن «ألبرت شفيتزر» الطبيب العالم المبشر الذى ترك وطنه فرنسا ليعيش فى مستعمرة للجذام فى «الجابون» بأفريقيا ، وفى ظروف تنعدم فيها أسباب العيش والبقاء فى هذه الدنيا...

وحين سئل من أحد معارفه عن سبب اختياره لهذه المهمة الشاقة.. وسط هذه الظروف الصعبة أجاب قائلا :

إن من يفكر فى فعل الخير يجب عليه ألا يتوقع من الناس أن يزيلوا الحجارة من طريقه . ولا حيلة له إلا أن يتقبل نصيبه راضيًا.. وان زادوا هذه الحجارة أحجارًا..!

قلت للآنسة «دورثى» التى حملت إلى رسالة الدعوة:

هل حددتم موعدًا لإتمام هذه الزيارة. وإجراء هذا الحوار والمقابلة؟

- نحن يا سيدى لا نلزمك بوقت محدد. ونحن على استعداد لاستقبالك فى أى يوم عدا يومى السبت والأحد.

واتفقنا على أن يتم هذا الحوار بعد يومين من هذه المقابلة. وأن أذهب بالقطار بدلاً من حضورها لتحملنى معها فى السيارة!

وقبيل الموعد المحدد بنصف ساعة كنت أتجول فى الحى الذى يقع فيه مبنى الجامعة.. وما كادت عقارب الساعة تشير إلى تمام الحادية عشرة حتى كنت أقف أمام البوابة لأرى فى انتظارى الآنسة «دورثى» ومعها ثلاث راهبات يبتسمن ابتسامة صفراء باهتة.. ما هذا ؟ إنها جامعة كاثوليكية. والراهبات الثلاث إعلان سافر عن هذه «الهوية».. وإشارة واضحة عما يجرى وراء الجدران الحديدية..

لقد انقبض صدرى دون سبب واضح من هذه المقابلة وان شئت فقل : من هذا العنوان و هذه المقدمة. فقد كانت لى تجربة سابقة مع هؤلاء الراهبات.. تجربة أليمة . ومرة..

ففى مدينة الإسماعيلية .. حين كانت مطاردا من الطاغوت الذى أذل مصر وأحرارها بقسوة. عملت فى مدرسة من هذه المدارس التى تخضع لإشراف الكنيسة الكاثوليكية .. لم يكن فى هذه المدرسة من الرجال غيرى .. كن جميعًا من الراهبات اللائى تخصصن فى إدارة هذه الأوكار التى يطلق عليها اسم مدرسة، وقد هالنى ما رأيت فى هذه المدرسة. رأيت كتبا تدرس كلها إساءة إلى مصر ورأيت الإسلام منزويًا فى قبو مظلم تحت الأرض. وعجبت من غفلة المسؤولين عن التعليم عن هذه الجرائم، وعزمت مستعينًا با لله على تغيير هذا الوضع القائم.

إن عصابات «المافيا» والألوية الحمراء. وكل الجماعات الإرهابية التى يتحدث عنها العالم فى أيامنا هذه تعتبر فى غاية النقاء والطهارة إذا قيست بما فى قلوب هؤلاء الراهبات من حقد وكراهية. وان الدين الذى يتمسحن به يلعنهن فيه كل حرف وكل كلمة. وكما يصفهن مفكر مسلم: ثياب ناصعة تستر وراءها قلوبا سوداء مظلمة..

واتجهنا جميعا بعد ذلك إلى قاعة فسيحة رصت فيها المقاعد بترتيب وأناقة. كان كل شىء جاهزا ومعدا فى انتظار المعركة القادمة..

كانت البداية هذه الوريقات التى أصدرتها الأمم المتحدة تحت عنوان «الإعلان العالمى للقضاء على التمييز ضد المرأة».. فقد وقفت إحدى الطالبات تقرأ بعض ما جاء فى مقدمة هذا الإعلان من ضرورة القضاء على التمييز ضد المرأة لآن هذا التمييز كما جاء فى مقدمة هذا الإعلان يتنافى مع كرامة الإنسان وخير الأسرة والمجتمع

وكانت الآنسة «لورا» تتكلم وقد صوبت نظرها إلى متحدية.. وما كادت تتوقف عن الكلام حتى انهالت الأسئلة على من كل ناحية...

فالطالبات«جاكلين» و «كارول» و «جانيت»كون فريقًا من المتحمسات لقضية المرأة.. وجلسن فى مقدمة الصفوف استعدادا للهجوم وبدء المعركة..

وقبل أن أرد على هذه الأسئلة .. وبعبارة أكثر دقة على هذا القذائف الموجهة، قلت للطالبات الثلاث اللائى يقدن هذه الحملة :

كأنكن تتهمن الإسلام بعداوة المرأة ؟ وأنه سبب التخلف الذى تعانى منه فى بعض الدول الإسلامية؟

نعم .. نعم .. !

نطق بهذه الكلمة كل الطالبات فى نشوة. مشبوبة بالحماسة.. وابتسم الجميع فى انتظار ما سوف أقوله بعد إطلاق هذه الرصاصة..

قلت معلقًا :

لقد أصدرتن حكما بلا بينة، ومن الإنصاف والعدل ألا يصدر مثل هذا الحكم إلا بعد الانتهاء من تقديم الشهود والأدلة...

أن هذا الحق مكفول لأى متهم فى أتفه قضية . فكيف إذا كان المتهم هنا هو «الإسلام» الذى يؤمن به ألف مليون مسلم ومسلمة..؟

والإسلام الذى تلصقون به هذه التهم ؟، وتتهمون أتباعه بالجمود والتأخر يأمرنا بالإنصاف والعدل حتى مع العدو، ويحذرنا من التطرف فى الجدال حتى مع الذين أساءوا إلى الله والنبى..

﴿ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم﴾.

﴿ولا يجرمنكم شنئآن قوم ألا تعدلوا، اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾ .

هل سمعتن بقصة القاضى والأرملة ؟

إنها قصة مشهورة فى إنجيل«لوقا»..

تقول هذه القصة التى يرويها «لوقا«على لسان المسيح عيسى بن مريم :
كان فى بعض المدائن قاض لا يخاف الله ولا يهاب الناس وكان فى المدينة أرملة تأتيه تقول له : انصفنى من خصمى. وهو لا يفعل، حتى جاء يوم بعد ذلك بكثير فقال الرجل فى نفسه :

ينبغى لى أن أنصف هذه الأرملة. وإن كنت أنا لا أخاف الله ولا أهاب الناس حتى لا تعود إلى بعد ذلك.

ألا فاسمعوا ما يقوله القاضى الظالم ثم انظروا :

.أفلا ينصف الله الذين اختارهم من عباده ؟ وان كان هو يتمهل فى إنصافهم إذ يصرخون نحوه ليل نهار. إنى أقول لكم : إن الله يتعجل عندئذ فى إنصافهم[1].

---

(١) لوقا : الإصحاح ١٨

ولا أحب أن يكون موقفنا من الإسلام موقف هذا القاضى الظالم من الأرملة .. إننا هنا فى «محكمة التاريخ» .. فلندع الحقائق وحدها تتكلم . ولنصغ إلى صوت العدالة والحق حتى لا نجور ولا نظلم .

لقد كانت المرأة فى المجتمع اليونانى - أول عهده بالحضارة محصنة - وعفيفة لا تغادر البيت، وكانت محرومة من الثقافة لا تسهم فى الحياة العامة بقليل ولا كثير . وكانت محتقرة حتى سموها رجسا من عمل الشيطان أما من الوجهة القانونية فقد كانت المرأة عندهم تباع وتشترى فى الأسواق وهى مسلوبة الحرية والمكانة فى كل ما يرجع إلى حقوقها المدنية، ولم يعطوها فى الميراث، وأبقوها طيلة حياتها خاضعة لسلطة رجل وكلوا إليه أمر زواجها فهو يستطيع أن يفرض عليها من يشاء زوجا، وعهدوا إليه بالإشراف عليها فى إدارة أموالها، فهى لا تستطيع أن تبرم تصرفا دون موافقته، وجعلوا للرجل الحق المطلق فى فصم عرى الزوجية بينما لم يمنحوا المرأة حتى طلب الطلاق إلا فى حالات استثنائية، بل وضعوا العراقيل فى سبيل الوصول إلى هذا الحق، ومن ذلك أن المرأة إذا أرادت أن تذهب إلى المحكمة لطلب الطلاق تربص بها الرجل فى الطريق فأسرها وأعادها قسرا إلى البيت ..!

أما فى إسبارطة فقد توسعوا فى إعطائها شيئا من الحقوق المدنية فأعطوها شيئا من الحق فى الإرث والبائنة (الدوطة) وأهلية التعامل، وما كان ذلك عن سماحة منهم واعتراف بأهلية المرأة، وإنما كان لوضع المدينة الحربى حيث كان أهلها فى حرب وقتال، فكان الرجال يشتغلون بالحرب دائما ويتركون التصرف فى حال غيبتهم للنساء. وفى أوج حضارة اليونان تبذلت المرأة واختلطت بالرجال فى الأندية والمجتمعات فشاعت الفاحشة حتى أصبح الزنا أمرا غير منكر، وحتى غدت دور البغايا مراكز للسياسة والأدب، ثم اتخذوا التماثيل العارية باسم الأدب والفن، ثم اعترفت ديانتهم بالعلاقة الآثمة بين الرجل والمرأة، فمن آلهتهم «أفروديت» التى خانت ثلاثة آلهة وهى زوجة إله

واحد وكان من أخدانها رجل من عامة البشر فولدت «كيوبيد» إله الحب عندهم. ثم لم يشبع غرائزهم ذلك حتى انتشر عندهم الاتصال الشاذ بين الرجل والرجل، وأقاموا لذلك تمثال «هرموديس وإستوجتين» وهما فى علاقة آثمة، وكان ذلك خاتمة المطاف فى حضارتهم فانهارت وزالوا.

عند الرومان :

كان رب الأسرة هو مالك كل أموالها فليس لفرد فيها حق التملك، وإنما هم أدوات يستخدمها رب الأسرة فى زيادة أموالها، وكان رب الأسرة هو الذى يقوم بتزويج الأبناء والبنات دون إرادتهم .

أما الأهلية المالية فلم يكن للبنت حق التملك، وإذا اكتسبت مالا أضيف إلى أموال رب الأسرة ولا يؤثر فى ذلك بلوغها ولا زواجها. وفى العصور المتأخرة فى عصر قسطنطين تقرر أن الأموال التى تحوزها البنت عن طريق ميراث أمها تتميز عن أموال أبيها. ولكن له الحق فى استعمالها واستغلالها، وعند تحرير البنت من سلطة رب الأسرة يحتفظ الأب بثلث أموالها كملك له ويعطيها الثلثين.

وفى عهد جوستنيان قرر أن كل ما تكتسبه البنت بسبب عملها أو عن طريق شخص آخر غير رب أسرتها يعتبر ملكا لها، أما الأموال التى يعطيها رب الأسرة فتظل ملكا له، على أنها وان أعطيت حق تملك الأموال فإنها لم تكن تستطيع التصرف فيها دون موافقة رب الأسرة.

وإذا مات رب الأسرة يتحرر الابن إذا كان بالغا، أما الفتاة فتنتقل الولاية عليها إلى الوصى مادامت على قيد الحياة، ثم عدل ذلك أخيرا بحيلة للتخلص من ولاية الوصى الشرعى بأن تبيع المرأة نفسها لولى تختاره، ويكون متفقا فيما بينهما أن هذا البيع لتحررها من قيود الولاية فلا يعارضها الولى الذى اشتراها فى أى تصرف تقوم به.

في شريعة حمورابي وعند الهنود:

وكانت المرأة في شريعة حمورابي تحسب في عداد الماشية المملوكة حتى أن من قتل بنتا لرجل كان عليه أن يسلم بنته ليقتلها أو يتملكها.

وكان علماء الهنود الأقدمون يرون أن الإنسان لا يستطيع تحصيل العلوم والمعارف ما لم يتخل عن جميع الروابط العائلية.

ولم يكن للمرأة في شريعة مانو حق في الاستقلال عن أبيها أو زوجها أو ولدها فإذا مات هؤلاء جميعا وجب أن تنتمي إلى رجل من أقارب زوجها، وهي قاصرة طيلة حياتها، ولم يكن لها حق في الحياة بعد وفاة زوجها بل يجب أن تموت يوم موت زوجها وأن تحرق معه وهي حية على موقد واحد، واستمرت هذه العادة حتى القرن السابع عشر حيث أبطلت على كره من رجال الدين الهنود.

وكانت تقدم قربانا للآلهة لترضى.

وفي بعض مناطق الهند القديمة شجرة يجب أن يقدم لها أهل المنطقة فتاة تأكلها كل سنة.!

وجاء في شرائع الهندوس : ليس الصبر المر، والريح، والموت، والجحيم والسم، والأفاعي، والنار، أسوأ من المرأة.

عند اليهود :

كانت بعض طوائف اليهود تعتبر البنت في مرتبة الخادم، وكان لأبيها الحق في أن يبيعها قاصرة، وما كانت ترث إلا إذا لم يكن لأبيها ذرية من البنين وإلا ما كان يتبرع به لها أبوها في حياته.

ففي الإصحاح الثاني والأربعين من سفر أيوب : «ولم توجد نساء جميلات كنساء أيوب في كل الأرض، وأعطاهن أبوهن ميراثا بين إخوتهن».

وحين تحرم البنت من الميراث لوجود أخ لها ذكر يثبت لها على أخيها النفقة والمهر عند الزواج، إذا كان الأب قد ترك عقارا فيعطيها من العقار. أما إذا ترك مالا منقولا فلا شيء لها من النفقة والمهر ولو ترك القناطير المقنطرة.

وإذا آل الميراث إلى البنت لعدم وجود أخ لها ذكر لم يجز لها أن تتزوج من سبط أخر، ولا يحق لها أن تنقل ميراثها إلى غير سبطها.

واليهود يعتبرون المرأة لعنة لأنها أغوت آدم، وقد جاء فى التوارة: «المرأة أمر من الموت، وإن الصالح أمام الله ينجو منها، رجلا واحدا بين ألف وجدت أما امرأة فبين كل أولئك لم أجد».

عند المسيحيين :

لقد هال رجال المسيحية الأوائل ما رأوا فى المجتمع الرومانى من انتشار الفواحش والمنكرات، وما آل إليه المجتمع من انحلال أخلاقى شنيع، فاعتبروا المرأة مسؤولة عن هذا كله، لأنها كانت تخرج إلى المجتمعات، وتتمتع بما تشاء من اللهو وتختلط بمن تشاء من الرجال كما تشاء، فقرروا أن الزواج دنس يجب الابتعاد عنه وأن العزب عند الله أكرم من المتزوج، وأعلنوا أنها باب الشيطان، وأنها يجب أن تستحى من جمالها لأنه سلاح إبليس للفتنة والإغراء.

قال القديس«ترتوليان»: إنها مدخل الشيطان إلى نفس الإنسان ناقضة لنواميس الله، مشوهة لصورة الله، أى الرجل.

وقال القديس سوستام: إنها شر لابد منه، وآفة مرغوب فيها، وخطر على الأسرة والبيت، ومحبوبة فتاكة، ومصيبة مطلية مموهة.

وفى القرن الخامس اجتمع مجمع «ماكون» للبحث فى المسألة التالية: هل المرأة مجرد جسم لا روح فيه؟ أم لها روح ؟

وأخيرا قرروا أنها خلو من الروح الناجية (من عذاب جهنم) ما عدا أم المسيح.

ولما دخلت أمم الغرب فى المسيحية كانت آراء رجال الدين قد أثرت فى نظرتهم إلى المرأة، فعقد الفرنسيون فى عام ٥٨٦ للميلاد (أى فى أيام شباب النبى عليه الصلاة والسلام) مؤتمرا للبحث: هل تعد المرأة إنسانا أم غير إنسان؟ وأخيرا قرروا أنها إنسان خلقت لخدمة الرجل فحسب.

واستمر احتقار الغربيين للمرأة وحرمانهم لحقوقها طيلة القرون الوسطى حتى أن عهد الفروسية الذى كان يظن فيه أن المرأة احتلت شيئا من المكانة الاجتماعية حيث كان الفرسان يتغزلون بها ويرفعون من شأنها، لم يكن عهد خير لها بالنسبة لوضعها القانونى والاجتماعى، فقد ظلت تعتبر قاصرة لا حق لها فى التصرف بأموالها دون إذن زوجها.

والحق أن عصر الفروسية يرينا بعض الشواهد الواضحة على هذا الازدراء، يروى فيها«إن الملكة بلانشفلور ذهبت إلى قرينها الملك تسأله معونة أهل اللورين. فأصغى إليها الملك، ثم استشاط غضبا، ولطمها على أنفها بجمع يده، فسقطت منه أربع قطرات من الدم وصاحت تقول : «شكرا لك، إن أرضاك هذا فأعطنى من يدك لطمة أخرى حين تشاء». ولم تكن هذه حادثة مفردة لأن الكلمات على هذا النحو كثيرا ما تتكرر، كأنها صيغة محفوظة، وكأنما كانت اللطمة بقبضة اليد جزاء كل امرأة جسرت فى عهد الفروسية على أن تواجه زوجها بمشورة..

ولقد تقدم الزمن فى الغرب من العصور المظلمة، إلى عصور الفروسية، إلى ما بعدها من طلائع العهد الحديث، ولما تبرح المرأة فى منزله مسفة، لا تفضل ما كانت عليه فى الجاهلية العربية، وقد تفضلها منزلة المرأة فى تلك الجاهلية.

«ففى سنة ١٧٩٠ بيعت امرأة فى أسواق إنجلترا بشلنين لأنها ثقلت بتكاليف معيشتها على الكنيسة التى كانت تؤويها، وبقيت المرأة إلى سنة ١٨٨٢ محرومة من حقها الكامل فى ملك العقار وحرية المقاضاة..وكان تعليم المرأة سبة تشمئز منها النساء قبل الرجال فلما كانت اليصابات بلا كويل

تتعلم فى جامعة جنيف سنة ١٨٤٩- وهى أول طبيبة فى العالم - كانت النسوة المقيمات معها يقاطعنها، ويأبين أن يكلمنها، ويزوين ذيولهن من طريقها احتقارًا لها، كأنهن متحرزات من نجاسة يتقين مسامها، ولما اجتهد بعضهم فى إقامة معهد يعلم النساء الطب بمدينة فلادلفيا الأمريكية، أعلنت الجماعة الطبية بالمدينة أنها تصادر كل طبيب يقبل التعليم بذلك المعهد وتصادر كل من يستشير أولئك الأطباء..».

ومن الطريف أن نذكر أن القانون الإنجليزى حتى عام ١٨٠٥ كان يبيح للرجل أن يبيع زوجته، وقد حدد ثمن الزوجة بستة بنسات.

فقد حدث أن باع إنجليزى زوجته عام ١٩٣١ بخمسمائة جنيه، وقال محاميه فى الدفاع عنه : أن القانون الإنجليزى قبل مائة عام كان يبيح للزوج أن يبيع زوجته، وكان القانون الإنجليزى عام ١٨٠١ يحدد ثمن الزوجة بستة بنسات بشرط أن يتم البيع بموافقة الزوجة.

فأجابت المحكمة بأن هذا القانون قد ألغى عام ١٨٠٥ بقانون يمنع بيع الزوجات أو التنازل عنهن، وبعد المداولة حكمت المحكمة على بائع زوجته بالسجن عشرة اشهر.

وقد حدث أن باع إيطالى زوجته لآخر على أقساط، فلما امتنع المشترى عن سداد الأقساط الأخيرة قتله الزوج البائع.

ولما قامت الثورة الفرنسية(نهاية القرن الثامن عشر) وأعلنت تحرير الإنسان من العبودية والمهانة، لم تشمل بحنوها المرأة، فنص القانون المدنى الفرنسى على أنها ليست أهلا للتعاقد دون رضا وليها إن كانت غير متزوجة، وقد جاء النص فيه على أن القاصرين هم: الصبى والمجنون المرأة . وأستمر ذلك حتى عام ١٩٣٨ حيث عدلت هذه النصوص لمصلحة المرأة، ولا تزال فيه بعض القيود على تصرفات المرأة المتزوجة.

عند العرب قبل الإسلام :

وإذا عدنا إلى البيئة العربية قبل الإسلام، وجدنا المرأة العربية مهضومة فى كثير من حقوقها، فليس لها حق الإرث، وليس لها على زوجها أى حق، وليس للطلاق عدد محدود ولا لتعدد الزوجات حد معين، و لم يكن عندهم نظام يمنع تمكين الزوج من النكاية بها، كما لم يكن لها حق فى اختيار زوجها، ولقد كان رؤساء العرب وأشرافهم فحسب يستشيرون بناتهم فى أمر الزواج، كما نستنتج ذلك من بعض القصص التاريخية.

وكان الرجل إذا مات وله زوجة وأولاد من غيرها، كان الولد الأكبر أحق بزوجة أبيه من غيره ويعتبرها إرثا كبقية أموال أبيه، فان أراد أن يعلن عن رغبته فى الزواج منها طرح عليها ثوبا، وإلا كان لها أن تتزوج بمن تشاء.

وكانوا يتشاءمون من ولادة الأنثى، وكانت بعض قبائلهم تئدها خشية العار، وبعضهم كان يئد أولاده عامة خشية الفقر، و لم تكن هذه عادة فاشية فى العرب وإنما كانت فى بعض قبائلهم، و لم تكن قريش منها.

وكل ما كانت تعتز به المرأة العربية فى تلك العصور على أخواتها فى العالم كله، حماية الرجل لها، والدفاع عن شرفها، والثأر لامتهان كرامتها.

وفى أواخر القرن السادس الميلادى، ووسط هذا الظلام المخيم على المرأة فى جميع أنحاء العالم المتمدن وغير المتمدن يومئذ، انطلق من جزيرة العرب من مكة : انطلق صوت السماء على لسان محمد صلى الله عليه وسلم يضع الميزان الحق لكرامة المرأة، ويعطيها حقوقها كاملة غير منقوصة، ويرفع عن كاهلها وزر الإهانات التى لحقت بها عبر التاريخ ويعلن إنسانيتها الكاملة، وأهليتها التامة، ويصونها عن عبث الشهوات، ويجعلها عنصرا فعالا فى نهوض المجتمعات وتماسكها وسلامتها.

وتتلخص المبادئ الإصلاحية التى أعلنها الإسلام على لسان محمد صلى الله عليه وسلم فيما يتعلق بالمرأة فى المبادئ التالية :

أولا : إن المرأة كالرجل فى الإنسانية سواء بسواء، يقول الله تعالى :﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة﴾[١] ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام:«إنما النساء شقائق الرجال»[٢] .

ثانيا : رفع عنها اللعنة التى كان يلصقها بها رجال الديانات السابقة فلم يجعل عقوبة آدم بالخروج من الجنة ناشئا منها وحدها، بل منهما معًا.

يقول تعالى فى قصة آدم :﴿فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كان فيه﴾[٣] .

ويقول عن أدم وحواء: ﴿فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما ما ورى عنهما من سوآتهما﴾[٤] .

بل إن القرآن فى بعض آياته قد نسب الذنب إلى آدم وحده فقال ﴿وعصى آدم ربه فغوى﴾[٥].

ثم قرر مبدأ آخر يعفى المرأة من مسؤولية أمها حواء وهو يشمل الرجل والمرأة على السواء:﴿تلك أمة قد خلت، لها ما كسبت، ولكم ما كسبتم، ولا تسئلون عما كانوا يعملون﴾[٦].

---

(١) سورة النساء : الآية ١ .

(٢) رواه أحمد وأبو داود والترمذى .

(٣) سورة البقرة : الآية ٣٦ .

(٤) سورة الأعراف : الآية ٢٠ .

(٥) سورة طه : الآية ٢١ .

(٦) سورة البقرة : الآية ١٣٤ .

ثالثا : أنها أهل للتدين والعبادة ودخول الجنة إن أحسنت، ومعاقبتها إن أساءت كالرجل سواء بسواء، يقول الله تعالى: ﴿من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾(١) .

ويقول تعالى:﴿فاستجاب لهم ربهم لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض﴾(٢) .

رابعا: حارب التشاؤم بها والحزن لولادتها كما كان شأن العرب ولا يزال شأن كثير من الأمم ومنهم بعض الغربيين، فقال تعالى منكرا هذه العادة السيئة:﴿وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم، يتوارى من القوم من سوء ما بشر به، أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب؟ ألا ساء ما يحكمون﴾(٣).

خامسا : حرم وأدها وشنع على ذلك أشد تشنيع فقال: ﴿وإذا الموؤدة سئلت: بأى ذنب قتلت؟﴾(٤) .

وقال: ﴿قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم﴾(٥) .

سادسا: أمر بإكرامها : بنتا، وزوجة، وأما.

أما إكرامها كبنت فقد جاء فى ذلك أحاديث كثيرة.

منها قوله صلى الله عليه وسلم : «أيما رجل كانت عنده وليدة فعلمها فأحسن تعليمها وأدبها فأحسن تأديبها»الخ.

---

(١) سورة النحل : الآية ٩٧ .

(٢) سورة آل عمران : الآية ١٩٥ .

(٣) سورة النحل : الآيات ٥٨،٥٩ .

(٤) سورة التكوير : الآيات ٨،٩ .

(٥) سورة الأنعام : الآية ١٤٠ .

وأما إكرامها كزوجة ففى ذلك آيات وأحاديث كثيرة :منها قوله تعالى :

﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة﴾[١] .

وقوله صلى الله عليه وسلم: «خير متاع الدنيا الزوجة الصالحة، إن نظرت إليها سرتك، وأن غبت عنها حفظتك»[٢] .

وأما إكرامها كأم ففى آيات وأحاديث كثيرة :

قال الله تعالى : ﴿ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا، حملته أمه كرها ووضعته كرها﴾[٣] .

وجاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : من أحق الناس بصحبتي؟ قال أمك. قال: ثم من ؟قال أمك ، قال: ثم من ؟ قال أمك«قال: ثم من ؟ قال : أبوك»[٤] .

وجاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم وقال : أريد الجهاد فى سبيل الله. فقال له الرسول هل أمك حية؟ قال: نعم، قال إلزم رجلها فثم الجنة[٥].

سابعاً : رغب فى تعليمها كالرجل .. وفى الحديث عنه صلى الله عليه وسلم : «طلب العلم فريضة على كل مسلم»[٦] .

ثامناً : أعطاها حق الإرث : أما ، وزوجة ، وبنتا : كبيرة كانت أو صغيرة أو حملاً فى بطن أمها .

---

(١) سورة الروم : الآية ٢١ .

(٢) رواه بألفاظ قريبة منه مسلم وابن ماجه .

(٣) سورة الأحقاف : الآية ١٥ .

(٤) رواه البخارى ومسلم .

(٥) رواه الطبرانى .

(٦) رواه البيهقى .

تاسعاً : نظم حقوق الزوجين ، وجعل لها حقوقاً كحقوق الرجل ، مع رئاسة الرجل لشؤون البيت ، وهى رئاسة غير مستبدة ولا ظالمة .

قال تعالى: ﴿ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة﴾[1].

عاشراً : نظم قضية الطلاق بما يمنع من تعسف الرجل فيه واستبداده فى أمره فجعل له حداً لا يتجاوزه ، وهو الثلاث ، وقد كان عند العرب ليس له حد يقف عنده وجعل لإيقاع الطلاق وقتاً ، ولأثره عدة «أى مدة» تتيح للزوجين العودة إلى الصفاء والوئام .

الحادى عشر : حد من تعدد الزوجات فجعله أربعاً وقد كان عند العرب وعند غيرهم من الأمم التى تبيح التعدد غير مقيد بعدد معين .

❁ ❁ ❁

وقد عرض القرآن للمرأة فى عشر سور أو أكثر منها سورة البقرة ، سورة النساء ، سورة المائدة ، سورة النور ، سورة الأحزاب ، سورة المجادلة ، سورة الممتحنة ، سورة التحريم وسورة الطلاق ..

ففى سورة النساء تحدث القرآن عن الأصل الذى تكاثر منه الإنسان ، وجعل المرأة شريكة الرجل فى تكوين ذلك الأصل ، وجعله نعمة توجب على الإنسان التقوى والمراقبة :

﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام﴾[2].

---

(١) سورة البقرة : الآية ٢٢٨ .

(٢) سورة النساء : الآية ١٠ .

وجعل القرآن للمرأة حقًا فى المبايعة على السمع والطاعة والقيام بحدود الشريعة وأحكامها . وجعل طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة . بلا تفرقة بين رجل وامرأة . ويقول العلماء عند تفسير قوله تعالى:﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة﴾ .. يقول المفسرون فى معنى هذه الآية :

علموا أنفسكم وأهليكم الخير وأدبوهم ..

والمراد بالأهل النساء والأولاد ذكوراً وإناثاً .

وإذا كانت وقاية الأهل من نار الآخرة واجبة وهى لا تكون إلا بالتعليم والإرشاد إلى ما أوجبه الله من حقوق وواجبات ، فوقايتهم من نار الدنيا وهى الحياة المنغصة بالجهل والشقاء وعدم النظام لا تقل فى الوجوب عن الوقاية من نار الآخرة .

وقد قال الإمام محمد عبده كلاماً فى تعليم المرأة يدل على أن التعليم الذى يوجبه الدين على المرأة ليس قاصراً على تعليم العقائد والآداب والعبادات . وإنما يتناول كل مناحى الحياة المختلفة .

ولم يقف القرآن بالمرأة عند حد تسويتها بالرجل فى حق التعليم وحق حرية الرأى بل سوى بينهما فى حق التملك ومباشرة عقود التصرفات بجميع أنواعها ..

وجعل لها ملكًا خاصًا وجعلها صاحبة السلطان المطلق فى إدارته والتصرف فيه ، وحذر الرجل أن يمد يده إلى شئ منه إلا بإذنها ورضاها . وجعل لها الحق فى مباشرة العقود من بيع وشراء . وأباح لها أن توكل غيرها فى كل ما تملكه بنفسها وأن تتوكل عن غيرها فى كل ما يملكه . وأباح لها أن تضمن غيرها فى كل ما يملكه وأباح لها أن تضمن أى يضمنها غيرها على نحو ما أبيح للرجال فى كل هذه التصرفات . ولا نعلم أحداً من فقهاء الإسلام رأى أن النصوص الواردة فى التصرفات المالية خاصة بالرجل دون المرأة .

وقد جاء فى صحيح البخارى تحت عنوان «باب غزو النساء وقتالهن «عن الربيع بنت معوذ قالت : كنا نغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نسقى القوم ونخدمهم ونرد القتلى والجرحى إلى المدينة .. وعن أم عطية الأنصارية قالت : «غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع غزوات. أخلفهم فى رحالهم وأصنع لهم الطعام وأداوى الجرحى وأقوم على الزمنى».

و لم يقف الإسلام بالمرأة فى هذا الميدان عند إ باحة خروجها مجاهدة ، بل احترم أمانتها وجوارها . فمن المتفق عليه ما روى عن أم هانئ قالت : ذهبت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح فوجدته يغتسل فقال : من هذه؟ فقلت: أنا أم هانئ. فقال : مرحبا يا أم هانئ . فلما فرغ من غسله قام يصلى فلما انصرف قلت : يا رسول الله زعم ابن أمى على ابن أبى طالب أنه قاتل رجلاً قد أجرته . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ ..

فهل يجد الناس فى تشريع مثل هذا ؟

وبعد :

هل بقى فى أنفسكن شئ من الشك ؟

إنى أدرك تماماً ما رسخ فى عقولكن من التناقض والحيرة . فالمؤسسات التعليمية فى الغرب .. ومنذ بدأ الصراع الدامى بين المسلمين والصليبيين فى بلاد الشرق .. هذه المؤسسات التعليمية بمختلف فرقها ومناهجها تعمدت وضع الإسلام فى موضع الشك .. وأعلنت عليه العداوة والحرب ..

وحتى يومنا هذا ... وفى هذا العصر الذى تنازلت فيه الكنيسة عن العرش ... لا تزال هذه العداوة كامنة فى القلب . وفى معاهد العلم . وفى دوائر السياسة والحكم .

بعد سقوط مدينة القدس أمام الغزو الإسرائيلى سنة ١٩٦٧ . قال راندولف تشرشل فى كتابه (حرب الأيام الستة) Six Days war لقد كان

إخراج القدس من سيطرة الإسلام حلم المسيحيين واليهود علـى السـواء .. إن سرور المسيحيين لا يقل عن سرور اليهود .

إن القـدس قـد خرجـت من أيدى المسلمين . وقد أصـدر الكنيسـت اليهودى ثلاثة قرارات بضمها إلى القدس اليهودية ولن تعود أبداً إلى المسلمين.

ربما تقول إحداكن :

إن راندولف تشرشل هذا صحفى .. فكيف نأخذ كـلام هـذا الصحفـى مأخذ الجد .. نهتم به إلى هذا الحد ... ؟

وقد أوافقكن على هذا الاعتراض من ناحية الشكل ..

لكن ماذا تقلن عن «يوجـين رستو» مساعد وزيـر الخارجيـة الأمريكيـة ومستشار الرئيس الأمريكى السابق جونسون . ؟

لقد قال :

يجب أن ندرك أن الخلافات القائمة بيننـا وبـين الشـعوب العربيـة ليسـت خلافات بين دول وشعوب .

بل ، هى خلافـات بـين الحضـارة المسـيحية والحضـارة الإسـلامية ، منـذ القرون الوسطى وهى مستمرة حتى هذا اليوم ...

إن الظروف التاريخية تؤكد أن أمريكا جزء من ا لعـالم الغربـى . فلسـفته وعقيدته ونظامه . وذلك يجعلها تقف معادية للعالم الشرقى الإسلامى بفلسـفته وعقيدته لأنها إن فعلت غير ذلك فإنها تتنكر للغتها وفلسفتها وثقافتها ..

انتهى كلام رستو ..

فهل انتهت حيرتكن. وزال الشك والتناقض مں قلوبكن؟

❁ ❁ ❁

وخيم على القاعة صمت طويل وثقيل . لقد خيل إلى أن كل شئ قد توقف عن الحياة . وأن الهواء قد استحال إلى ثانى أوكسيد الكربون .. فالطالبات أشبه بتماثيل الشمع .. أما الراهبات فقد كتمن أنفاسهن استعداداً للهروب من الحبس .. !

وجاء الانفراج أو الانفجار بثلاثة أسئلة من الطالبات مارى وبريجيت وجاكلين .. تقول هذه الأسئلة :

إذا كان الإسلام قد رفع من شأن المرأة ، ومنحها حقوقها كاملة غير منقوصة .. فلماذا التفرقة بينها وبين الرجل فى الشهادة ؟ وجعل له الرياسة فى شؤون البيت والأسرة؟

وأعطاه ضعف ما تأخذ المرأة من التركة ... ؟

قلت للآنسة «مارى»:

لقد بين القرآن الكريم «الحكمة» فى أن تقوم شهادة امرأتين مقام شهادة رجل واحد .

إن القضية هنا لا علاقة لها بأفضلية الرجل على المرأة ، ولا صلة بين هذه الشهادة وبين كرامة المرأة .

إن العلة هنا فى هذه (التفرقة) كما يقول القرآن الكريم هى النسيان . «أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى «والنسيان ينشأ هنا من أسباب كثيرة .

فقد ينشأ من قلة خبرة المرأة بهذه الأمور ومعرفة دقائقه وتفاصيله ...

وقد ينشأ من طبيعة المرأة الانفعالية وسرعة استجابتها للمسائل العاطفية وهذه الطبيعة لا تفصل عن المرأة ولا تتخلص منها مهما بلغت من التعليم و لثقافة .

وليس اعتبار شهادة امرأتين بشهادة رجل واحد دليلاً على أن المرأة تساوى نصف الرجل إنما هو إجراء روعى فيه كل الضمانات فى الشهادة سواء أكانت الشهادة لصالح المتهم أو ضده .

ومن أجل الفرق في نوعية العاطفة بين الرجل والمرأة ، قيل عن الرجل : إنه صاحب جلد ، وأن تحمله على الشدائد والأزمات أطول من تحمل المرأة . إذ لا يستجيب للأزمة فوراً ، ولا ينتقل بسرعة بسبب تلك الأزمة من حال نفسى إلى حال مقابل له ، قبل أن يفكر ويراجع عناصر الأزمة للخروج منها . فهو قبل الانتقال والتغير يفكر ويتروى فى تفكيره . ومن يتعود التفكير والتروى فيه يكون صاحب ذاكرة قوية يراجع بها الأحداث فى غير خلط أو تشويش .

وشريعة الله عندما فرقت فى الشهادة بين الرجل والمرأة . أسندت الاختلاف بينهما إلى خصائص الطبيعة البشرية لكل منهما ، وإن خلقا من أصل واحد . لأن الفروق الفردية بين الذكور أو بين الإناث قائمة . وكذلك الفروق النوعية بين الذكر والأنثى ، قائمة أيضاً .

ومن هذه الفروق النوعية فى جانب المرأة : عدم جلدها .. وسرعة تقلبها.. وقلة ترويها ومراجعتها ، وبالتالى : سرعة نسيانها أو قلة تذكرها .

وقد يوجد من النساء من تقوم شهادة إحداهن بشهادة ألف رجل . ولقد يوجد من الرجال ألوف لا تقبل منهم شهادة أحد ..

ولكن القوانين والشرائع لا تخضع لهذه الاستثناءات الفردية وإنما تجيء القوانين والشرائع للأغلبية الساحقة من الناس .

❁ ❁ ❁

ننتقل بعد هذا إلى سؤال الآنسة (برجيت) عن حق الرجل فى رئاسة الأسرة وفى تقرير مسؤوليته عن جميع من فى البيت أولاداً أو زوجة .

إن كل مجتمع مهما كان صغيراً لابد وأن يكون مسؤولاً عنه أحد ولابد أن يدير أموره قائد كفء .

ولنضرب مثلاً بهذه الجامعة ..

أليس لها مدير أو مديرة ؟ إن هذا المدير . هو صاحب الكلمة العليا فى إدارة هذه الجامعة .. هو المسؤول عن تطبيق النظام وتقرير الأصلح والأحسن لمصلحة الأساتذة والطالبات ..

إنه صاحب «القوامة» فى هذه الجامعة وكلمته فى النهاية مسموعة ومطاعة ..

هل يفهم من هذا أن مدير الجامعة أكثر من غيره إنسانية وكرامة ؟

ينطبق هذا المثل على كل قطاع ومؤسسة فى هذه الدولة .. من الحاكم العام .. إلى قائد الجيش إلى رئيس الوزراء .. والوزراء إلى رؤساء مجالس الإدارة إلى ناظر المدرسة . إلى البيت والأسرة .

ومن المعروف بداهة أن اختيار الرؤساء أو الوزراء لا يتم اعتباطاً أو مجاملة.. بل لابد من الكفاءة والخبرة .. والمقدرة . والاستعداد الكامل لتحمل هذه المسؤولية .

فليس كل إنسان يصلح وزيرًا .. وليس كل عامل يصلح مديرًا ..

فإذا قرر القرآن أن الرجل هو «القيم» والمسؤول عن الأسرة والبيت ، فإن ما يقوله القرآن هو ما يقوله كل عاقل وعاقلة فى هذا الكون .

واختيار الرجل لهذه المهمة ليس مجاملة له . أو محاباة لنوعه . إنه وضع الشىء فى مكانه .. وتكليف الأصلح والأقدر لمباشرة مهمته .

والإسلام ينظر إلى الأسرة نظرة مقدسة . إنها أهم «مؤسسة» فى الحياة البشرية . بهذا تقول كل النظم . وبهذا تقرر كل الدساتير والشرائع ...

وقيادة الرجل لهذه المؤسسة قيادة ناشئة عن الواجبات المفروضة عليه تجاه هذه المؤسسة . وتجاه هذه الأسرة .

ولا يغضب منكن أحد إذا قلت : إن الرجل متفوق على المرأة حتى فى أخص الأعمال التى عرفت بها المرأة .

فالمرأة تشتغل بإعداد الطعام منذ طبخ الناس طعاماً قبل فجر التاريخ ، وتتعلمه منذ طفولتها فى مساكن الأسرة والقبيلة ، وتحب الطعام وتشتهيه . ولكنها - بعد توارث هذه الصناعة آلاف السنين - لا تبلغ فيها مبلغ الرجل الذى يتفرغ لها بضع سنوات ، ولا تجاريه فى إجادة الأصناف المعروفة . ولا فى ابتداع الأصناف والافتنان فى تنويعها وتحسينها ، ولا تقدر على إدارة مطبخ يتعدد العاملون فيه من بنات جنسها أو من الرجال .

وصناعة التطريز وعمل الملابس - كصناعة الطهى - من صناعات النساء القديمة فى البيوت ، ولكنها تعول على الرجال فى أزيائها ، ولا تعول فيها على نفسها ، وتفضل معاهد "التفصيل" التى يتولاها الرجال على المعاهد التى يتولاها بنات جنسها ، وكذلك تفضل معاهدهم على معاهد النساء فى أعمال التجميل والزينة عامة ، ومنها تصفيف الشعر وتسريحه واختيار الأشكال المستحبة لتضفيره وتجميعه . وقد عنيت المرأة بألوان الطلاء منذ عرفت الزينة، ولكنها لم تحسن من هذه الصناعة ما أحسنه الرجل فى سنوات قصار .

وفى النهاية نسأل أنفسنا هذا السؤال :

أيهما أجدر أن تكون وظيفته القوامة ، بما فيها من تبعات : الفكر أم العاطفة ؟ فإذا كان الجواب البديهى هو الفكر . فقد انحلت المسألة دون حاجة إلى جدال كثير . فالرجل بطبيعته المفكرة لا المنفعلة ، وبما يحتوى كيانه من قدرة على الصراع واحتمال أعصابه لنتائجه وتبعاته ، أصلح من المرأة فى أمر القوامة على البيت . بل إن المرأة ذاتها لا تحترم الرجل الذى تسيره فيخضع لرغباتها بل تحتقره بفطرتها ولا تقيم له أى اعتبار .

وليس مؤدى ذلك أن يستبد الرجل بالمرأة ، أو بإدارة البيت . فالرئاسة التى تقابل التبعة لا تنفى المشاورة ولا المعاونة . بل العكس هو الصحيح . فالرئاسة الناجحة هى التى تقوم على التفاهم الكامل والتعاطف المستمر . وكل توجيهات الإسلام تهدف إلى إيجاد هذه الروح داخل الأسرة ، وإلى تغليب الحب والتفاهم على النزاع والشقاق .

❁ ❁ ❁

أما ما تقوله الآنسة ، جاكلين ، عن التفاوت بين نصيب الرجل والمرأة فى الميراث الشرعى .. فالرد على هذه الشبهة أهون من غيره .. ونحن كمسلمين نعتز بهذا الحكم ونفخر بتطبيقه ..

ولتقريب «الحكمة » من هذا التفاوت بين نصيب الرجل ونصيب المرأة أضرب لكن مثلاً :

توفى رجل وترك ابنا وترك ابنة .. إن نصيب الابن سيكون الثلثين من هذه التركة . أما نصيب البنت فسيكون منحصراً فى ثلث التركة فقط .

سنرى بعد ذلك . أن هذا الابن الذى حصل على ثلثى التركة له زوجة قد أنجب منها ولدين أو ثلاثة .

إن هذا الرجل الذى ورث ثلثى التركة . ملزم بالإنفاق على زوجته وعلى أولاده الثلاثة.

فإذا كان له بعد ذلك أقرباء يحتاجون إلى رعايته فإن الإسلام يفرض عليه لهؤلاء الأقرباء نفقة يدفعها إليهم ويلزم برعايتهم وحتى هذه الأخت التى ورثت ثلث التركة فإن الإسلام يلزمه بالإنفاق عليها فى حال الضرورة والحاجة ..

ومعنى هذا كله أن نصيب الابن من الميراث وإن كان ضعف نصيب

الابنة . فإنه ينفق على كل هؤلاء الذين يعيشون فى بيته . وعلى المحتاجين من إخوته وأقاربه .

أما البنت التى ورثت ثلث هذه التركة فإنها تحتفظ بهذا المال ولا تحتاج لإنفاقه . لأنها إذا تزوجت فإن نفقتها ومطالب حياتها واجبة على هذا الرجل الذى تتزوجه ولا يسمح الإسلام لهذا الرجل أو الزوج بالاستيلاء أو أخذ شئ مما تملكه .

فإن تنازلت له راضية .. عن شئ من هذا المال فهذا حقها وشأنها فيما تحوزه وتملكه ..

ولو حدث ما يكره وهو الطلاق فقد ألزم الإسلام الرجل أن يدفع لها نفقة .. وهذه النفقة لا حد لها إنما تختلف باختلاف حالة الرجل وظروفه الاقتصادية ﴿لينفق ذو سعة من سعته﴾[1] .

وأوجب لها الإسلام نفقة ثانية هى نفقة (المتعة) وهذه أيضاً تختلف بظروف الرجل المالية .

﴿وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين﴾[2] .

فإذا حدث وتزوجت بعد ذلك فبها ونعمت وإلا عادت إلى أخيها الذى ورث ثلثى التركة لتعيش فى رعايته . إذا كانت فقيرة أو محتاجة .

ترى أى الفريقين أسعد حظاً من الآخر بعد هذه المقارنة ؟

الابن الذى يعول أسرة ؟ أم البنت التى تستأثر بمالها كله ، وتعيش فى كنف غيرها . أما كانت أم بنتاً أم زوجة ؟

❁ ❁ ❁

---

(١) سورة الطلاق : الآية ٧ .

(٢) سورة البقرة : الآية ٢٤١ .

لقد كرم الإسلام المرأة بما لم تكرمها به آية شريعة أو حضارة ومنحها من الحرية والاستقلال ما لم تصل إليه المرأة الحديثة . فحالة المرأة فى فرنسا مثلاً كانت إلى عهد قريب أشبه بحالة الرق المدنى . فقد نزع منها القانون صفة الأهلية فى كثير من الشؤون المدنية . كما تنص على ذلك المادة السابعة عشرة بعد المائتين من القانون الفرنسى إذ تقرر هذه المادة أن «.. المرأة المتزوجة - حتى لو كان زواجها قائماً على أساس الفصل بين ملكيتها وملكية زوجها - لا يجوز لها أن تهب ولا أن تنقل ملكيتها ولا أن ترهن ولا أن تملك بعوض أو من غير عوض بدون اشتراك زوجها فى العقد أو موافقته عليها موافقة كتابية ..».

وبالرغم مما أدخل على هذه المادة من قيود وتعديلات - فيما بعد ، فإن كثيراً من آثارها لا يزال ملازماً لوضع المرأة الفرنسية من الناحية القانونية إلى الوقت الحاضر (١) .

✽ ✽ ✽

ولمزيد من الإيضاح حول هذه النقطة فلابد من إيراد هذا الحوار بين سيدة فرنسية شهيرة وبين إحدى المجلات العربية التى تصدر فى لندن .

فقد نشرت مجلة الحوادث وقائع هذه المقابلة التى ننقل نصها بالحرف عن هذه المجلة :

«هذا الحديث جرى معها على ارتفاع أحد عشر ألف قدم فى طائرة زوجها الذى كان يقوم بجولة انتخابية فى جنوب شرقى فرنسا .

كان هذا الزوج هو «مسيو دوبريه» المرشح لرئاسة فرنسا .

وكانت معه زوجته فى الطائرة التى تم فيها إجراء هذا الحوار أو المقابلة..

- ما رأى السيدة «دوبريه» فى مطالب المرأة الفرنسية وتذمرها مما هى فيه؟

---

(١) الأسرة والمجتمع .. د/ على عبدالواحد وافى ص١١٧ .

مدام دوبريه :

لا أجد المرأة متذمرة فى فرنسا فالذى حصلت عليه من الحقوق يضمن لها الحرية والاستقرار ..

ـ ولكن الجمعيات النسائية تقوم بمظاهرات كثيرة احتجاجاً على حرمانها من بعض الحقوق ؟

مدام دوبريه :

هناك دائماً أناس غير راضين مهما فعلنا . ومعظم هذه المظاهرات تطالب المساواة بين الرجل والمرأة .. هذه المساواة غير موجودة وبالتالى لا يمكن تحقيقها مهما كثرت الادعاءات .

فالرجل يختلف عن المرأة وهما لا يتساويان فى القدرات .. إن هذه مزحة قديمة لا أؤمن بها .. !

ـ أين هو مكان المرأة الطبيعى فى نظرك فى البيت أم فى المصنع ؟

مدام دوبريه :

أعتقد أن مكان المرأة هو البيت .... إن أفضل ما يمكن أن تفعله المرأة هو تربية أولادها .. ! ! !

ـ هل أنت مع ممارسة المرأة للعمل السياسى ...... ؟

مدام دوبريه :

أنا ضد ذلك قطعاً ....

لأنى ألاحظ أن المرأة عندما تعمل فى السياسة تكون مواقفها دائماً متطرفة ...

واعتقد أن رقابتها على مشاعرها غير كافية لأنها حساسة جداً . ولهذا فالسياسة صعبة جداً بالنسبة للمرأة ...» .

۞ ۞ ۞

وهنا ...... توقفت عن الحديث ... لأرى ما سوف تقوله الطالبة «جانيت «بعد أن رفعت يدها إشارة إلى سؤال تريد أن تقدمه ...

قلت للآنسة «جانيت»:

إذا كان طلب العلم فريضة على المسلم والمسلمة فكذلك العمل فريضة على الرجل المسلم والمرأة المسلمة ...

ولكن أى عمل ؟

هذا هو مربط الفرس . وهذه بداية الخلاف فى وجهات النظر .

إن اقدس عمل تقوم به المرأة عندنا نحن المسلمين هو ما يتفق مع الفطرة.. إننا لم نخلق فى هذه الحياة عبثاً . والخالق الأعظم زود كلاً من الرجل والمرأة بخصائص تؤهل كلاً منهما لوظيفته التى خلق من أجلها ..

وقد بين الإسلام للرجل والمرأة مجالات عمل كل منهما ، وهذا التحديد لم يفرض على أي منهما قهراً . ولكنها مجالات تحددها الفطرة . وتحددها الطبيعة وتحددها بوضوح أكثر العلوم والدراسات الحديثة ..

والأسرة من وجهة نظر إسلامية هى المجال الأول لعمل المرأة . إن بناء سفن الفضاء ، وصناعة البوارج والطائرات لا يعتبر شيئاً بالنسبة لبناء الإنسان الذى استخلفه ا لله فوق هذه الأرض .. وقديماً قال نابليون القائد الفرنسى المعروف :

إن المرأة التى تهز المهد بيمينها تهز العالم بيسارها ...

لا أقصد بذلك إن الإسلام يحرم على المرأة الاشتغال بأعمال أخرى خارج البيت . فهناك مجالات أخرى للعمل تفضل فيها المرأة على الرجل .

فى مدارس البنات ... فى كليات الطب لعلاج النساء ... فى الهيئات التى يتصل عملها بوظيفة المرأة ... وفى المؤسسات التى تهدف رسالتها إلى

ترقية المجتمع والأسرة ... وفى التجارة إذا كانت ظروفها تسمح بممارسة هذه المهنة وبشرط الالتزام بآداب الإسلام فى السلوك والحشمة ...

❁ ❁ ❁

أما «العمل» بالصورة الماثلة أمام أعيننا هنا فى «استراليا» أو فى «أمريكا» أو فى «أوروبا».

فلا أظن عاقلاً أو منصفاً يوافق على ما انتهت إليه المرأة فى هذه المجتمعات كلها .. يقول «الكسيس كاريل»:

«لقد ارتكب المجتمع العصرى غلطة جسيمة باستبداله المدرسة بتدريب الأسرة استبدالاً تماماً ..

ولهذا تترك الأمهات أطفالهن لدور الحضانة حتى يستطعن الانصراف إلى أعمالهن .. أو مطامعهن أو مباذلهن أو للعب البريدج ، أو ارتياد دور السينما . وهكذا يضيعن أوقاتهن فى الكسل . إنهن مسؤولات عن اختفاء وحدة الأسرة واجتماعاتها التى يتصل فيها الطفل بالكبار ، فيتعلم عنهم أموراً كثيرة.. إن الكلاب الصغيرة التى تنشأ مع أخرى من نفس عمرها فى حظيرة واحدة ، لا تنمو نمواً متكاملاً كالكلاب الحرة التى تستطيع أن تمضى فى اثر والديها . والحال كذلك بالنسبة للأطفال الذين يعيشون وسط جمهرة من الأطفال الآخرين وأولئك الذين يعيشون بصحبة راشدين أذكياء . لأن الطفل يشكل نشاطه الفسيولوجى والعقلى طبقاً للقوالب الموجودة فى محيطه . إذ أنه لا يتعلم إلا قليلاً من الأطفال فى مثل سنه . وحينما يكون بجرد وحدة فى المدرسة ، فإنه يظل غير مكتمل . ولكى يبلغ الفرد قوته الكاملة فإنه يحتاج إلى عزلة نسبية ، واهتمام جماعة اجتماعية محددة تتكون من الأسرة»[1] .

❁ ❁ ❁

---

(١) الإنسان ذلك المجهول ص٣١٨-٣١٩ .

لقد وقفت أستاذ إنجليزية تقول فى حفل تكريمها بعد أن بلغت الستين سنة تقول :

«ها أنا قد بلغت الستين من عمرى . وصلت فيها إلى أعلى المراكز ... نجحت وتقدمت فى كل سنة من سنوات عمرى .. وحققت عملاً كبيراً فى المجتمع .. كل دقيقة كانت تأتى على بالربح . حصلت على شهرة كبيرة وعلى مال كثير .. أتيحت لى الفرصة أن أزور العالم كله ..

ولكن .. هل أنا سعيدة الآن بعد أن حققت كل هذه الانتصارات .. ؟

لقد نسيت فى غمرة انشغالى فى التعليم والسفر والشهرة أن أفعل ما هو أهم من ذلك كله بالنسبة للمرأة ..

نسيت أن أتزوج . وأن أنجب أطفالاً .. وأن أستقر ..

إننى لم أتذكر ذلك إلا عندما جئت لأقدم استقالتى . شعرت فى هذه اللحظة أننى لم أفعل شيئاً فى حياتى .. وأن كل الجهد الذى بذلته طوال هذه السنوات قد ضاع هباء .. فسوف أستقيل . وسيمر عام على استقالتى وبعدها ينسانى الجميع .

ولكن .. لو كنت تزوجت ، وكونت أسرة . لتركت أثراً أكبر وأحسن فى الحياة .. إن وظيفة المرأة الوحيدة هى أن تتزوج . وتكون أسرة ، وأى مجهود تبذله غير ذلك لا قيمة له فى حياتها هى بالذات .. .. إنى أنصح كل طالبة تسمعنى أن تضع هذه المهام فى اعتبارها . وبعدها تفكر فى العمل والشهرة»[(١)] .

ولمزيد من الإيضاح ، فإنى أقدم تقريراً نشرته جريدة الديلى ميل الإنجليزية حول هذا الموضوع .

---

(١) عن جريدة الأهرام الصادرة يوم ١٩٦١/٥/٢٩ .

لقد نشرت هذه الصحيفة تقريراً عن حال المرأة فى بريطانيا فى عددها الصادر يوم العاشر من شهر يونيو ١٩٧٥ تقول فيه :

لقد ابتدأت المرأة تدفع ثمن تحررها : سوء صحة متزايد ... ضغوط ومعاناة ... وفقدان للدافع الجنسي والإنجاب . ولقد أدلى بذلك الكثير من الباحثين والأطباء . فالنساء الآن يدخن أكثر ، يتعاطين الخمر أكثر . ويحاولن الانتحار بشكل متزايد . كما أن تعاطيهن للعقاقير ونسبة إصابتهن بأمراض القلب وبالسرطان وبالأمراض السرية فى ارتفاع مستمر . ويقول الأستاذ ايفور هـ . سيلز ، الذى يرأس فريقاً من الباحثين وظل يدرس هذه المشكلة مدة الثمانى سنوات الأخيرة فى مستشفى اوبنروك الجديد فى كامبردج ، يقول هذا الأستاذ : «إننى أرى النساء تنهار حيويتهن بشكل تدريجى تحت ضغوط اجتماعية وجنسية ومهنية ، ففى الوقت الحالى تبدو النساء من الناحية الحيوية أقل تحملاً لهذه الضغوط من الرجال».

أو كما قال الدكتور ماكس جلات الذى يدير وحدة علاج لمدمنى الخمر والمخدرات فى مستشفى سانت برنارد بشوت هول فى سيدلسكس عندما ذكر ما يلى : «أعط النساء ما يكفى من الحبال وستجد أنهن يشنقن أنفسهن أسرع من الرجال».. !

ولقد شرح الأستاذ ميلز أن عدد النساء اللواتى خرجن من بيوتهن للعمل ممن يزيد عمرهن عن ١٦ عاماً قد ازداد بنسبة ٢٧٪ فى العشرة أعوام الماضية، وبتزايد المشكلات الاقتصادية فإن النسبة ستزداد ، وبالذات بين النساء اللواتى يرعين بيوتاً وأسرا . وفى كثير من الحالات فإن هؤلاء يشغلن الوظائف من أجل الحصول على المال ثم يصبحن بعد ذلك مجبرات على الاستمرار فى الوظيفة والاهتمام بها دون داع ، أو بدافع من نشوة يحصلن عليها منها . ويكمل الأستاذ شرحه قائلاً : «لقد أثبتت بحوثنا أن مثل هؤلاء النساء يعرضن أنفسهن لضغوط أكثر مما يحتاج لهن الأمر ويصبحن بصورة مرضية مجبرات

على الأكل بين الوجبات ، ويبدأن بالقلق على زيادة وزنهن . إنهن أيضاً يجدن صعوبة فى النوم فيبدأن فى تعاطى الأقراص المنومة . وكل هذا يعنى زيادة فى التوتر فى المكاتب وفى البيوت حيث يصبح هناك جو من الحساسية والاضطراب والخلافات . ولو أن النساء ضغطن على أنفسهن بالمزيد من العمل فإن شخصيتهن ستتغير ، بل إن ميزان الهرمونات فى أجسامهن يتغير أيضاً . وهذا يؤدى إلى هبوط فى الدافع الجنسى وفى القدرة على الإنجاب . إن معدل الإنجاب ينخفض بصورة خطيرة ، وأننى لمقتنع أن هذا الانخفاض ليس فقط بسبب حبوب منع الحمل . إن معدل الولادة انخفض من ١٨,٦ لكل ألف امرأة فى عام ١٩٦٤ إلى ١٥,٨ فى عام ١٩٧١ ، ولكنه انخفض إلى ١٤,٤ فى عام ١٩٧٢ ، ولقد كان ١٢,٧ فى العام الماضى . إن هذا المعدل ينخفض بسرعة شديدة لدرجة أن سكاننا الآن لم يصبحوا قادرين على أن يعوضوا النقص الذى يحدث لهم . ومع هذا فعيادات العقم مكتظة بنساء متلهفات على الإنجاب .

ولقد بين الأستاذ ميلز أيضاً أن سن البلوغ قد انخفض إلى سن ١٢ سنة تقريباً . وهذا أدى إلى أن الضغوط توضع على البنات الآن فى سن مبكر . فهناك الضغط الجنسى الناتج من شعورهن بأن المتوقع منهن أن يستسلمن لأصدقائهن من الأولاد . ومما يضاعف هذا الضغط هبوط مستوى الضبط عند الآباء وقلة قدرتهم على التفاهم مع بناتهم أو نصحهن . إن التغير الذى حدث فى المستوى الخلقى وفى معايير السلوك قد أصبح من الضخامة ومن السرعة لدرجة أن الكثير من الآباء أصبحوا عاجزين عن ضبط أولادهم وبناتهم أو حتى على فهمهم .

وبازدياد نسبة انفصال الأزواج فإن عدداً وفيراً من الأطفال أصبح متروكاً لينمو بمفرده. وهذا هو أحرج أعوام حياتهم فى تلك البيئة المختلفة التى لا أمن بها ، «بيئة الرمال الاجتماعية المتحركة».

وتعتبر محاولة البنات المراهقات لإنقاص وزنهن إحدى أهم المشكلات التى واجهها هذا الأستاذ الجامعى فى بحثه . فهو يقول إن قلة الأكل لإنقاص الوزن تؤدى – عندما تزيد عن حدها – إلى اضطرابات فى العادة الشهرية وفى مستويات الهورمونات لدرجة قد تسبب اضطرابات ومشاكل خطيرة فيما بعد . ومما أسفر عنه البحث أيضاً لظاهرة تنقيص الوزن من المراهقات هو وجود علاقة بين تنقيص الوزن وبين المذاكرة . يقول الأستاذ ميلز : «ظننا فى أول الأمر أن البنات يدمن محاولات إنقاص وزنهن بصورة مرضية بسبب أنهن فى سن يجعلهن حريصات على رشاقة قوامهن ، ولكن النتائج التى حصلنا عليها من بحثنا أثبتت علاقة أكيدة بين الإعداد للامتحانات وبين تجويع البنات لأنفسهن ، وسبب هذه العلاقة قد يكون أن البنات قد لاحظن بطريقة غير شعورية أن مستوى تحصيل المخ يصبح أكثر بعد الأيام القليلة الأولى بدون طعام ».

ومما يبعث على القلق أيضاً زيادة محاولات الانتحار بين النساء ، فلقد زادت حالات محاولات الانتحار فى البنات اللواتى يقل عمرهن عن عشرين عامًا . زادت خمسة أضعاف فى خلال العشرة أعوام الماضية . أما بالنسبة لمن يزيد عمرهن عن ثلاثين عامًا فقد كان التضاعف ما بين مرتين إلى ثلاثة .

أما عن التحرر الجنسى فإن ضريبته تدفع على صورة ارتفاع متزايد فى معدل الإصابة بالأمراض السرية بين النساء . وكما يقول بعض الأطباء تدفع أيضاً على صورة ارتفاع فى معدل الإصابة بالسرطان . لقد كان معدل الإصابة بالأمراض السرية نصف معدل إصابة الرجال . أما الآن فقد أصبح معدل الإصابة بين النساء ثلثى معدل الإصابة بين الرجال . ويعتقد الآن أن هناك علاقة بين سرطان عنق الرحم وبين الفوضى الجنسية . إن معدل الإصابة بسرطان عنق الرحم يرتفع باستمرار . ولو أنه يمكن تقليل جزء من هذه الزيادة مع تحسن طرق التشخيص المبكر بسبب أن النساء يقدمن عينات من

خلايا عنق الرحم للاختبار إلا أن الجراح ستانلى وأى بمستشفى كوين اليزابث بمدينة جاتسهيد والمحاضر فى جامعة نيوكاسل يقول : «نتيجة لسنوات عديدة من البحث الذى تم فى قسمى فإننى أستطع أن أقرر بصفة قاطعة أن العلاقة الجنسية بطريقة إباحية فوضوية هى أحد أسباب سرطان عنق الرحم، وكلما تزيد إباحية واستهتار امرأة تزيد نسبة احتمال إصابتها بهذا المرض ».

ونسبة إصابة النساء بسرطان الرئة فى تزايد ، فلقد قال أحد متحدثى «حملة أبحاث السرطان »: «أن آخر إحصائيات عام ١٩٧١ تبين أن نسبة وفيات الرجال تزيد عن نسبة وفيات النساء بنسبة ٧ : ١ . ولكن هناك ما يثبت أن هذا لفرق يقل بنسبة ٥٪ كل عام وواضح أن ذلك سبب ازدياد نسبة التدخين بين النساء».

والفرق أيضاً يقل بين نسبة إصابة الرجال والنساء بأمراض القلب القاتلة فى عمر الأربعين والخمسين . فلقد قال متحدث لمؤسسة أمراض الصدر والقلب : «إنه من المعروف الآن أن معدل السكتات القلبية قد ازداد فى خلال الأعوام العشرة الماضية».

والازدياد فى نسبة تعاطى النساء للمشروبات الكحولية علامة أخرى على ازدياد ما يعانين من ضغوط ، والمستر دبريك ريزرفورد مدير المجلس القومى لبحث مشكلة إدمان الكحول قلق بوجه خاص على ازدياد نسبة المتعاطين للخمور المركزة من قبل المراهقات . ولقد وضح أن الأولاد ميالون لتعاطى البيرة ولكن البنات يبدأن فى تعاطى الكحوليات القوية والخمور المركزة فى سن مبكرة ، وهن أكثر عرضة لأن يصبحن مدمنات . ويشعر الدكتور ماكس جلات أن أسباب ازدياد نسبة تعاطى المشروبات الروحية بين النساء هى كما يأتى :

١ - بداية تعاطى هذه المشروبات فى سن مبكر .

٢ - سهولة الحصول على المشروبات وتوفرها فى مخازن البقالة .

٣- تغير المناخ الاجتماعى بحيث أنه لم يعد أحد ينظر بجبين مقطب للمرأة التى تكثر من الشرب .

٤- ضغوط محاولة إدارة البيت مع أداء وظيفة خارج البيت .

ولكنه - مع آخرين من الأطباء الذى تحدث إليهم - وافق على أن الكثير من النساء يلجأن للخمر لأنهن يشعرن بالضيق وبعدم الرضا لبقائهن فى البيت فى الوقت الذى تستطيع فيه أخريات أن يحصلن على وظائف .

والدكتور جلات يعتقد أن النساء يملن لإساءة استعمال العقاقير أكثر من الرجال، فهن أكثر استعداداً لتعاطى الحبوب المنومة والحبوب المنقصة للوزن على سبيل المثال. وهو يقول: «تحت تأثير الضغوط جرت عادة الرجال أن يلجأوا للخمر ، وجرت عادة النساء أن يلجأن للحبوب ، أما الآن فإن النساء يتعاطين كلا من الخمر والعقاقير» .

هل لهذا من نهاية ؟ ؟ إن الأستاذ ميلز يجمل الإجابة بقوله : «إذا لم تخفف النساء عن أنفسهن فإن العواقب وخيمة على صحتهن وعلى أمن واستقرار المجتمع كله» .

❁ ❁ ❁

«.... هكذا أرادوا بالمرأة حينما صمموا لها الفساتين ورسموا لها الفتحات على الصدر والظهر وحينما حزقوا لها البنطلونات وضيقوا البلوزات .. واستدرجوا المرأة من غرورها حينما قالوا لها : ما أجمل صدرك .. ما أجمل كتفيك.. ما أروع ساقيك.. ما أكثر جاذبيتك.. حينما يكون كل هذا عارياً.

ووقعت المرأة فى الفخ . وخلعت ثوب حيائها . وعرضت جسمها سلعة تنهشها العيون .

وقالوا لها : البيت سجن وإرضاع الأطفال تخلف وطهى الطعام بدائية مكانك إلى جوار زوجك فى المصنع وفى الأتوبيس وفى الشارع .

وخرجت المرأة من البيت لتباشر ما تصلح له من أعمال وألقت بأطفالها إلى الشغالة .. وقالوا لها : جسمك ملكك أنت حرة فيه بلا حسيب وبلا رقيب ، وليس لك إلا حياة واحدة وكل يوم يمضى من أيامك لن يعود . عيشى حياتك بالطول وبالعرض .. أنفقى شبابك قبل أن ينفد واستثمرى أنوثتك قبل أن تشيخ ولا تعود لها سوق . وساهم الفن بدوره ليروج هذا المفهوم . ساهمت السينما والمسرح والمجلة والكتاب والتليفزيون والإذاعة والأغنية والرقصة والقصيدة .. ودخلت الغواية إلى البيوت من كل باب ، وتسربت إلى العقول وتخللت الجلد وأشعلت الخيال بسعار الشهوات ، وأمرضت القلوب بداء الخيانة وأصبحت المثل العليا فى المجتمع هى أمثال مارلين مونرو وكلوديا كاردينالى ولولو بريجيدا.

وأصبحت البطلات صاحبات المجد عندنا أمثال شفيقة القبطية وبمبة كشر ومنيرة المهدية ، وأصبحت القدوة هى زوجة هربت من بيت الزوجية[1] .

وظنت المرأة بنفسها الشطارة والفهلوة . وظنت أنها تقدمت على أمها وجدتها حينما اختارت بنفسها هذه المسالك والحقيقة أنها استدرجت من حيث لا تدرى وكانت ضحية الإيحاء والاستهواء وبريق الألفاظ وخداع الفن وأجهزة الإعلام والرأى العام الموجه الذى تصنعه حضارة مادية وثنية لا تؤمن إلا باللحظة ولا تعترف إلا بلذائذ الحس .. الصنم المعبود لكل إنسان فيها هو نفسه وهواه .. والمحراب هو فاترينة البضائع الاستهلاكية والهدف الذى من أجله يلهث هو إشباع الحاجات العاجلة .

يقول الأستاذ عمر بهاء الأميرى[2] :

توقفت ليلة فى جنيف ، وفى ناد ليلى ، كنت أجلس وحيداً . أتأمل

---

(١) دكتور مصطفى محمود : جريدة الأهرام .

(٢) سفير سورى سابق . وشاعر إسلام كبير .

الناس . جاءت إحدى المضيفات تجلس بجوارى ، وسألتنى : أتشرب هنا عصير البرتقال ؟

قلت : نعم .

قالت : وهل يمنعك الطبيب من شرب الكحول ؟

قلت : طبيب الكون الأعظم ، الله قد حرمها ، وأنا مسلم مطيع .

قالت : فقدم لى كأساً من الخمر .

قلت : معاذ الله كيف أقدم الأذى للناس ، وقد صنت عنه نفسى ؟

قالت : وماذا يهمك من أمرى ؟

قلت : نحن من أسرة واحدة .

عجبت ، وسألت : كيف ؟

قلت : أسرة الإنسانية ، أنها كلها أسرة المسلم .

قالت : ومن أنبأك أنى إنسانة ؟ لقد أنسيت ذلك من زمن طويل ..

قلت : بل إنسانة . والمسلم لا ينسى الحق .

قالت : دعك من إنسانيتى . أنا هنا لأمارس حيوانيتى ..

قلت : وليس مكانك هنا .

قالت : وأين ؟

قلت : إلى جوار سرير طفل .. فى كنف زوج .

فأخذتها حرقة ، وتساقطت من عينيها دموع ، وتمتمت :

- ما أرحمك .. وما أظلمك ... ذكرتنى بإنسانيتى ، فأحييتنى حتى أبكيتنى ولكن ، ما الجدوى ؟ إنسانة . ولا أستطيع أن أعيش إنسانيتى ربع ساعة نتابع حديثنا ؟ فإن على أن أقوم فورًا ، لأمارس «حيوانيتى» مع سواك.

وقد أخفقت معك ، لأنها مهنتى . ونظرات صاحب النادى تلاحقنى لذلك بضراوة لا رحمة فيها :

البائسات المائسات

كآلة من غير روح

الناشرات شذى

ومن أعماقهن أذىً يفوحْ

الضاحكاتُ وقد طوين

قلوبهن على جروح

القسم الثانى من الحوار

- الإسلام بين تقصير المسلمين ... وقصورهم ...
- لقاء في المسجد ..
- مقال عن تعدد الزوجات فى
- «سيدنى هيرالد» Sydy Morning Herald
- ماذا يقول الكتاب المقدس ...
- اغتصاب امرأة ... بعد قتل زوجها على يدى نبى .. !
- سبعمائة زوجة وثلاثمائة جارية ... للنبى سليمان .. !
- التعدد شريعة اليهود والنصارى ... قبل المسلمين ..
- أمثلة من التاريخ ..
- لكن لماذا التحامل عن الإسلام ..؟
- حوار فى لندن ..
- نساء يطالبن بتعدد الزوجات ..!
- جوانا ... المسكينة ..
- قصة الفلاح " لويجى " وزوجاته ... الست .. !
- عندما يصبح الحلال جريمة .. والحرام تقدما وحضارة.. !



انتهى الفصل الأول من الحوار فى قاعة المحاضرات بالجامعة ... ولكن القضايا التى فجرها هذا الحوار بقيت معلقة فى انتظار البحث والمناقشة .

لقد أحدث هذا الاحتكاك بعقول الطالبات شرارة الشوق . إلى المعرفة وولد فى قلوبهن الرغبة إلى مزيد من الوضوح والصراحة .

وبقدر فرحتى لهذه الاستجابة السريعة ... شعرت بالأسى والحسرة لتقصير المسلمين فى ارتياد هذه الآفاق المهيأة لمعرفة الإسلام معرفة صحيحة... ولكن أين المسلمون ؟

أقصد أين دعاة الإسلام فى هذه البلدان التى تحترم العقل .. وتسعى وراء الحقيقة بأقصى ما تستطيع من قوة وجهد .. ؟

فى أوربا وأميركا تسمع عن جمعيات ومؤسسات ومراكز تحمل كلها اسم الإسلام .. وتغطى جدران مكاتبها بشعارات وكلمات مقتبسة من أحاديث النبى والقرآن .

وتبحث عن أثر هذا كله فى الناس والحياة ... فلا تجد شيئًا ... وتحاول معرفة ما تقوم به هذه المراكز والمؤسسات فتعض بنانك غيظًا .. !

۞ ۞ ۞

فإذا نظرت إلى الجانب الآخر من الصورة ترى عجبا ... ... نشاط وحركة .. تخطيط ودراسة .. كتب ونشرات تطير شرقاً وغرباً . أناس مستعدون للقائك نهاراً وليلاً . وهم على استعداد لاستضافتك إذا رأوا فيك شخصاً مهماً ...

يقول الدكتور حسين مؤنس : إن عدد المبشرين فى الدنيا اليوم ٢٢٠ ألفا منهم ١٣٨٠٠٠ كاثوليكى ، والباقى وعددهم ٨٢٠٠٠ من البروتستانت . فى أفريقيا وحدها ١١٩٠٠٠ مبشر ومبشرة ينفقون بليونى دولار فى السنة ،

والذين يدفعون هذه الأموال يعرفون أن هذا هو أحسن وجه ينفق فيه المال اليوم . لأن الذى سيكسب المعركة الدينية فى أفريقيا سيكسب معها نصف رصيد العالم من الثروات المعدنية والزراعية . انهم يعرفون انهم لا يخوضون معركة دينية فقط بل اقتصادية وسياسية كذلك، وكل مليم ينفق فى الدعوى الدينية اليوم سوف يؤتى أضعاف قيمته غداً ، فأين نحن من هذه المعركة ؟ . إننى لا أتكلم بلغة الدين فقط ، بل بلغة السياسة والاقتصاد أيضاً .. فإن دخول الوثنين فى الإسلام معناه دخول أراضيهم وثرواتهم فى رحابه أيضاً . ونحن لو كسبنا هؤلاء الناس إلى ديننا فنحن سنكسبهم فى الوقت نفسه إلى لغتنا وحضارتنا وإلى معسكرنا السياسى ، لأن معارك الحضارة شاملة ، أى أن المسلمين إذا كسبوا بلداً وثنياً إلى جانبهم أصبحت ثرواته بالتالى فى معسكر الإسلام .

ولكن هذه معارك لا يعرف المسلمون عنها شيئاً ، وفى اعتقادى أنهم لا يريدون أن يعرفوا لكى يظلوا يرددون أنشودة الإسلام الذى يتقدم فى كل مكان من تلقاء نفسه بصورة مذهلة . وهذا هو الكلام الذى قاله أحد الخطباء فى احتفالات العيد الألفى للأزهر ، وقد صفق الحاضرون له طويلاً ، وجعلوا يهنئون بعضهم بعضاً عليه . وبعضهم قال: أن مجاهل أفريقيا فيها ألوف المسلمين ،أن طلبة الأزهر من أهالى البلاد يعملون بجد فى نشر الإسلام هناك. وأنا أسمع ذلك وأتأسف لإيمان المسلمين بالأوهام واستراحتهم إلى الأحلام . فالذى أعلمه علم اليقين أن حوض الكونغو كله ليس فيه داعية إسلامى واحد، لا أزهرى أو غير أزهرى .

والطالب الأفريقى الذى يدرس فى الأزهر ويعود إلى بلاده لا يذهب إلى المجاهل بل يستقر فى كينشاسا ويطلب الوظيفة ، والحكومة تعطيه الوظيفة وتعينه فى وظيفة إدارية لكى تبعده عن التعليم أولاً . ولكيلا يعود إلى قريته فى دواخل البلاد بعد ذلك .

و من باب الرغبة فى المعرفة فقط بحثت فى مكتبة الأزهـر ومكتبة مجمع البحوث الإسلامية فى الأزهر عن خريطة أو أطلس لأفريقيا فلـم أجـد . وفـى الصيف الماضى زرت مكتبة «مجلـس الكنـائس العـالمى» فـى جنيـف فوجـدت هناك كتباً لا تحصى عن أفريقيا وأحصيت خمسة أطـالس ، ووجدتهـم يعـدون طبعة جديدة من الأطلس الدينـى للعـالم ، ولم أستطع شراء نسـخة مـن هـذا الأطلس ، لأنه خاص بهم ورفضوا أن يعيرونى إياه ، وبكل صعوبة تركـوه لى فى المكتبة فقضيت يوماً أتصفحه وأدون مذكرات منه .

وفى اليوم التالى عندما ذهبت قالوا لى : إن هـذا الأطلـس غـير موجـود ، لقد أخفوه عنى . وبعـد ظهـر اليـوم نفسـه رفضـوا السـماح لى بـالدخول إلى المكتبة ، فاحتججت ورفعت صوتى ، وأخيراً سمحوا لى بالدخول ، ولكنـى لم أجد كتاباً واحداً مما كنت أقرأ . وقد غضبت عليهم ولكننى احترمتهم لأنهم ناس يقظون . انهم يعرفون انهم يخوضون معركـة ، وأنـا فـى نظرهـم عـدو ، وهم يعاملوننى على هذا الأساس .

وأذكر أننى ترددت كثيراً جداً على مركز من مراكز إعداد المبشـرين فـى مدريد . وفى فناء المبنى الواسع وضعوا لوحة كبيرة كتبوا عليها : «أيها المبشر الشاب : نحن هنا لا نعدك بوظيفة أو عمل أو سكن أو فراش وثير .

إننا ننذرك بأنك لن تجد فى عملك التبشيرى إلا التعب والمرض . كل مـا تقدمه إليك هو العلم والخبز وفراش خشن فى كوخ فقير . أجرك كله ستجده عند ا لله إذا أدركك الموت وأنت فى طريق المسيح كنت من السعداء» .

ورغم ذلك فقد كنت أجد مئـات الشبان يدرسـون فـى ذلـك المركـز . وكنت أجدهم يقيمون فى العالم الكـاثوليكى كله يومـاً يسـمونه يـوم المبشـر يجمعون فيه الملايين لتنفق كلها فى سبيل التبشير . ورأيت مرة فى مينـاء مالقـة فى أسبانيا سفينة كاملة خصصت للمبشرين . وعلى هـذه السـفينة قيـل لى إن هناك ٣٠٠٠ مبشر ومبشرة ، وكلهم ذاهبون إلى أفريقيا .

انهم لا يعطون المبشر إلا الطعام الخشن ، وهذه السفينة ستنزل فى كل ميناء أفريقى بضع مئات من رجالها ، والكثيرون منهم سيتسللون إلى دواخل البلاد دون إذن السلطات ، لأن السلطات بروتستانتية فى بعض البلاد ، وهى لا تسمح بدخول المبشرين الكاثوليك ولكنهم يدخلون ويوغلون فى الغابات ، والعشرات منهم يقتلون دون أن يطالب بدمهم أحد ، لأنهم متسللون . والكنيسة الكاثوليكية تحتج على قتلهم . ولكنها ترسل فى الوقت نفسه بدل المفقود الواحد اثنين .

۞ ۞ ۞

وفى تقرير سنة ١٩٨٠ عن النشاط التبشيرى البروتستانتى أقرأ أن عدد المبشرين البروتستانت الذين يعملون فى أميركا اللاتينية ٩٢٥٠ فى مقابل ٢١٨٠ مبشراً من الولايات المتحدة وحدها . وهؤلاء المبشرون البروتستانت يتجهون إلى موطن قبائل الهنود الحمر فى كولومبيا ويوليفيا والأكوادور والبيرو، ومن هناك يتسلل الألوف منهم إلى البرازيل ، لأن حكومة البرازيل الكاثوليكية لا تسمح لهم بالدخول والعمل ، لأنهم يعرفون أن التبشير عملية دينية فى الظاهر ، ولكنها سياسية فى الحقيقة .

ثم إننا فى عصر يختلط فيه كل شئ ، فالدين واللغة والاقتصاد والسياسة شئ واحد ، والمعركة التى نخوضها معركة واحدة ولكنها متعددة الجبهات ، ورجل التبشير الأميركى أو الإنجليزى أو الفرنسى رجل سياسة فى الوقت نفسه[١] ، وجانب كبير من الأموال التى تنفقها الولايات المتحدة على التبشير يأتى من ميزانية وزارة الخارجية أو وزارة الدفاع لأنها كلها معركة أميركية واحدة .

---

(١) اقرأ فى هذا الموضوع «التبشير والاستعمار» للدكتورين عمر فروخ - مصطفى الخالدى .

ونحن نتعجب من ذلك ونقول : لماذا يتحاربون ما داموا كلهم مسيحيين؟ ولكن الحقيقة أن الدين سياسة وأن الهندى الأحمر الذى يدخل البروتستانتية على أيدى مبشرين أميركيين سيتكلم الإنكليزية ويصبح جزءاً من الإمبراطورية الأميركية . أما الذى يتنصر كاثوليكياً فسيتكلم الأسبانية . ويخرج من سلطان الأميريكيين .

لهذا لاندهش إذا قرأنا فى دراسة نشرتها مجلة «تايم» عن المبشرين الجدد فى ديسمبر ١٩٨٢ أن ١٢٦ مبشراً بروتستانتيا قتلوا فى كولومبيا وحدها خلال عشر سنوات ومن ١٩٤٨ إلى ١٩٥٨ ، وفى نفس الوقت أغلقت الحكومة الكولومبية الكاثوليكية فى أميركا الجنوبية ٢٧٩ مدرسة ، و ٦٠ كنيسة بروتستانية .

وقد هدأت الحرب بين البروتستانت والكاثوليك هناك خلال ولاية البابا يوحنا الثالث والعشرين ، ثم تجددت فى ولاية البابا الحالى يوحنا بولس الثانى، ولهذا فإن حكومة الولايات المتحدة غير مرتاحة لرحلات البابا الكثيرة ، وبتحريض منها فى الغالب أعدمت حكومة نيكاراجوا ستة من الرهبان المبشرين الكاثوليك عشية زيارة البابا لأميركا الوسطى ، وكان الأمل أن يغضب البابا ولا يقوم بالزيارة ، ولكنه ذهب ، لأن المسألة مسألة حرب وصراع إمبراطوريات .

ومن أغرب ما نقرأ من أخبار هذا الصراع الدينى السياسى أن راهبين فرنسيين هما فرنسوا جوريو (٤٠ سنة) وارستيد كاميو (٤١سنة) حرضا الهنود الحمر فى غابات الأمازون على التمرد ضد الإقطاعيين البرازيليين وعلى الثورة وانتزاع الأراضى ، وعندما ثار الزراع التعساء وأحرقوا بيوت الإقطاعيين هاجمهم الجنود البرازيليون وقتلوا منهم ٤٧ رجلاً ، وقبضت حكومة البرازيل على الراهبين الفرنسيين وحكمت المحكمة عليهما بالسجن عشر سنوات . وقد حاول البابا يوحنا بولس الثانى التدخل للإفراج عنهما

فرفضت حكومة البرازيل . وبعد ذلك مباشرة أرسلت إحدى جمعيات التبشير الأمريكية البروتستانتية مبشرين إلى المنطقة ومعهم أدوية وأطعمة ونقود ليكسبوا الثائرين للجهة البروتستانتية .

إنها حرب إذن يخوضونها لأنهم يقظون يعملون للمستقبل ، ونحن نبذل جهوداً ولكنها لا تذكر إلى جانب ما يبذله الآخرون . فعدد الدعاة المسلمين فى أفريقيا لا يزيد على ثلاثة آلاف ، فأين هذا العدد من ١١٩٠٠٠ ؟ وفى جمهورية إندونيسيا - وهى مسلمة - ما لا يقل عن ٤٠٠٠ مبشر كاثوليكى وبروتستانتى ، وفى جزيرة بورنيو - وهى جزيرة إسلامية داخلة فى دولة إندونيسيا - أكثر من ١٠٠٠ مبشر ، ثم يحرصون على إنشاء المساجد أو إرسال الدعاة إلى جنوب السودان وهى بلاد إسلامية عربية .

ومع احترامى لكل الجهات المعنية بالدعوة الإسلامية لابد أن أقول أن الجهود الحالية لا تكفى قط لكى نكسب معركة المصير هذه . من رأيى أن نعتبر هذه المعركة معركتنا الأولى ، وأن نكرس لها أقصى ما نستطيع من جهد لأنها معركة المستقبل وإذا جاز لنا أن نتراخى فى ميادين أخرى فان التراخى هنا قاتل .

وأنا أقول هذا الكلام ونظرى متجه إلى الغد ، إلى سنة ٢٠٠٠ وما بعدها. ولا أمل عندى فى أن يفهمنى أولئك الذين لا يعرفون سوى الاحتفال بالماضى لأنهم يعيشون وعيونهم تنظر إلى الوراء[١] .

❁ ❁ ❁

هكذا يعملون .. وهكذا نحن غافلون ونائمون ..

وهل يصدق أحد أنه لا تزال هناك فى أوربا وأمريكا قطاعات كثيرة من الناس لا تعرف عن الإسلام شيئاً .. ؟

---

(١) دكتور حسين مؤنس - المجلة عدد ١١٦ .

لقد زرانى صديق بينما كنت أكتب هذا الحوار فحدثنى عن بعض الفرنسيين الذين لا يعرفون عن النبى محمد إلا انه فيلسوف ظهر فى جزيرة العرب .. !

وفى ألمانيا ذهبت سيدة ألمانية إلى مسجد برلين وطلبت من أمام هذا المسجد رؤية «الجمل» الذى يعبده المسلمون داخل هذا المسجد .. !!!

وفى أسبانيا - التى نحن أخوال وأعمام شعبها - سألت إحدى الأسبانية مذيعة مصرية عن ديانتها وهل هى مسلمة أم محمدية ؟

فلما استفسرت المذيعة المصرية عن الفرق بين المحمدى والمسلم أجابتها المرأة الأسبانية قائلة :

- إن المسلم هو الذى يعبد الشمس أما المحمدى فهو الذى يعبد محمداً..!

وبالرغم من هذا كله .. فإنك تسمع عن مؤسسات وجمعيات ومراكز إسلامية تنتشر هنا وهناك ... فإذا حاولت أن تعرف أثراً لكل هذه المؤسسات الإسلامية فلن تجد شيئاً .. ولن تسمع جواباً .. لقد أحدث هذا الحوار مع طالبات جامعة سان دى فنسنت شرارة الشوق كما قلت فى مقدمة هذا الفصل . ولكن العودة إلى مقر هذه الجامعة لاستئنافه مرة ثانية لم يعد ممكناً».

إن منظر الراهبة « إلزا » لم يغب عن خاطرى حتى هذه اللحظة .. فقد ضربت بيدها على ظهر زميلاتها وهى تجرجرهن خارج القاعة .. وبالرغم من جلوسهن بجوارى .. فقد مضين مسرعات دون التفوه بكلمة .. غير أن المفاجأة جاءت فى مكالمة تليفونية من خمس طالبات يردن لقائى بعد هذه المكالمة ..

فلورا . و .. كارول . و ... جانيت .. و .. مارى .. و .. نانسى ... حضرن جميعاً إلى المسجد لاستئناف الحوار الذى توقف أمام سدود الكراهية والبغضاء والتعصب ...

❁ ❁ ❁

قالت الطالبة «فلورا» بعد أن نشرت أمامها صحيفة سيدنى مورننج هيرالد : Sydney Morning Herald ماذا تقول عن هذا الكلام المكتوب فى هذه الصفحة ؟

وتناولت الصحيفة لأقرأ ما أشارت إليه الطالبة فى الصفحة الحادية عشرة: كان موضوعاً كتبه أحد القساوسة عن الإسلام والتعدد ... تعدد الزوجات لا تعدد الآلهة بالطبع ... وأن هذا التعدد يتنافى مع العدالة والمساواة التى تقررها مواثيق حقوق الإنسان فى هذا العصر طويت الصحيفة مبتسماً ثم قلت :

– أنى أشك أن يكون كاتب هذا المقال قسيساً . أو حتى رجلاً من خدام الكنيسة ! .

ونظر الطالبات بعضهن إلى بعض فى دهشة . ثم تساءلن عن السبب فى هذا الحكم المتسرع على كاتب هذه المقالة .. ؟

فأجبت موضحاً هذه النقطة :

لو كان كاتب هذه الكلمة من رجال الكنيسة لما سقط هذه السقطة ولما فضح نفسه أمام قراء هذه الصحيفة ... !

وازدادت الطالبات دهشة. وقد بدا على وجوههن قلق مشوب بالحيرة...

ثم قلت مبدداً هذا القلق والحيرة :

لو كان هذا الكاتب على علم بما جاء فى الكتاب المقدس . أو قرأ أسفار العهد القديم كما هو واجب على أى كاهن أو قس .. لما أشار إلى هذه القضية التى خسرها – مقدماً – دون حاجة إلى الدفاع عن النفس .

ذلك .. لأن العهد القديم الذى هو أساس الشريعة .. والذى جاء المسيح ليؤكد ما فيه .. لا لينقضه ويهدمه .. هذا العهد القديم الذى هو أصل

الشريعة يعترف بهذا التعدد الذى يستنكره الكاتب ، وينسب إلى داود وسليمان أموراً لا تليق برسولين - من رسل ا لله - ننزههما نحن المسلمين من مثل هذه المثالب والمصايب . ! وبدون حاجة إلى مقدمة .. أو الدخول فى متاهات جدلية عقيمة . تعالين نقرأ معاً ما جاء فى الكتاب المقدس مباشرة ... فى الإصحاحين الحادى عشر والثانى عشر من سفر صموئيل الثانى يتحدث هذان الإصحاحان عن قصة نبى ا لله داود مع زوجة قائده أوريا الحثى .

«... وأما داود فأقام فى أورشليم وكان فى وقت المساء أن داود قام من سريره وتمشى على سطح بيت الملك . فرأى من على السطح امرأة تستحم ... وكانت جميلة المنظر جداً .

... فأرسل داود رسلاً وأخذها فدخلت إليه فاضطجع معها رجعت إلى منزلها . وحبلت المرأة فأرسلت وأخبرت داود وقالت : إنى حبلى .. فأرسل داود إلى يؤآب يقول : أرسل إلى أوريا الحثى - زوج المرأة - ودعاه داود فأكل أمامه وشرب وأسكره ..

وفى الصباح كتب داود مكتوباً إلى يؤآب وأرسله بيد أوريا . وكتب فى المكتوب يقول : اجعلوا أوريا فى وجه الحرب الشديدة وارجعوا من ورائه فيضرب ويموت .. .. .. ومات أوريا الحثى ... فلما سمعت امرأة أوريا انه قد مات رجلها ندبت بعلها ... ولما مضت المناحة أرسل داود وضمها إلى بيته وصارت له امرأة[1] .

فأرسل الرب ناثان إلى داود فجاء إليه وقال له ، كان رجلان فى مدينة واحدة ... واحد منهما غنى والآخر فقير .. وكان للغنى غنم وبقر كثيرة جداً وأما الفقير فلم يكن له إلا نعجة واحدة صغيرة ... فجاء ضيف إلى الرجل

---

(١) لقد نقلت هذا النص من الكتاب المقدس . واكتفيت من هذا النقل بالعبارات التى توضح موضوع البحث. دون إضافة كلمة من خارج النص .

الغنى .. فعفا أن يأخذ من عنمه ومن بقره ليهيئ للضيف الذى جاء إليه فأخذ نعجة الفقير وهيأ للرجل الذى جاء إليه ..

فحمى غضب داود على الرجل جداً وقال لناثان : حى هو الرب . إنه يقتل الرجل الفاعل ذلك ويرد النعجة أربعة أضعاف . لأنه فعل هذا الأمر ولأنه لم يشفق ... فقال ناثان لداود أنت هو الرجل ... «هكذا قال الرب إله إسرائيل» أنا مسحتك ملكاً على إسرائيل وأنقذتك من يد شاول ... وأعطيتك بيت سيدك ونساء سيدك فى حضنك ... وأعطيتك بيت إسرائيل ويهوذا وان كان ذلك قليلاً أزيد لك كذا . وكذا ... لماذا احتقرت كلام الرب لتعمل الشر فى عينيه .. قد قتلت أوريا الحثى بالسيف وأخذت امرأته لك امرأة واياه قتلت بسيف عمون . والآن لا يفارق السيف بيتك إلى الأبد لأنك احتقرتنى وأخذت امرأة أوريا الحثى لتكون لك امرأة .

هكذا قال الرب ها أنذا أقيم عليك الشر من بيتك وآخذ نساءك أمام عينيك وأعطيهن لقريبك فيضطجع مع نسائك فى عين الشمس ..»

❁ ❁ ❁

إن الحقائق التى يمكن استخلاصها من هذا النص الوارد فى هذين الإصحاحين الحادى عشر والثانى عشر من سفر صموئيل الثانى يمكن تلخيصها فيما يأتى :

أولاً : اتهام أحد الأنبياء (داود) بارتكاب جريمة الزنا مع امرأة أجنبية هى زوجة أوريا الحثى ..

ثانياً : اتهام داود عليه السلام بالخيانة والغدر بأحد قواده بأن أرسله إلى ميدان القتال مع التوصية بقتله فى الحرب ليخلو الجو بينه وبين زوجة هذا القائد ..

ثالثاً : الزواج من امرأة أوريا بعد انتهاء فترة الحداد المعروفة عند وفاة الزوج ..

رابعاً : أنه كان لداود نساء كثيرة كما يقول النص على لسان الرب «.. أعطيتك بيت سيدك . ونساء سيدك ...» .

وبالرغم من عدد النساء اللائى كن فى عصمته إلا أنه تآمر على قتل أوريا لأنه طمع فى الزواج من امرأته ...

❁ ❁ ❁

وقبل أن تنتقل إلى نص آخر من الكتاب المقدس أريد أن أسجل بأن الإسلام يرفض اتهام أى نبى بتهمة من التهم الواردة فى هذا النص .

فنحن كمسلمين ننزه الأنبياء جميعاً والرسل جميعاً من ارتكاب أية فاحشة أو اقتراف أية جريمة وبخاصة فى كل ما يتصل بالعرض والشرف ...

❁ ❁ ❁

والآن ننتقل إلى نص آخر من الكتاب المقدس وهو النص الوارد فى الإصحاح الحادى عشر

من سفر الملوك الأول :

«... وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون ..» مؤابيات ، وعمونيات ، وأوميات ، وصيدونيات ، وحيثيات من الأمم التى قال عنهم الرب لبنى إسرائيل لا تدخلون إليهم ، ولا يدخلون إليكم لأنهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم .

فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة ، وكانت له سبعمائة من النساء السيدات وثلاثمائة من السرارى . فأمالت نساؤه قلبه ، وكان فى زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب..».

❁ ❁ ❁

ولا أظن أنكن بحاجة إلى توضيح ما جاء فى هذا النص الذى يقرر :

أولاً : أنه كان فى عصمة سيدنا سليمان سبعمائة زوجة من الحرائر .

ثانياً : أنه كان يملك بالإضافة إلى هذه المئات السبع من الزوجات ثلاثمائة من السرارى .

ثالثاً : اتهام سيدنا سليمان بالضلال والزيغ حيث مال إلى آلهة أخرى غير الله الواحد الأحد ...

❁ ❁ ❁

بعد هذا كله أعود إلى سؤال الآنسة «فلورا» عن الإسلام والتعدد .. أو عن كاتب المقال المنشور فى صحيفة سيدنى مورننج هيرالد .. ولو كان كاتب هذا المقال قسيساً ما وقع فى هذا الخطأ . فالكتاب المقدس الذى يبشر به بين الناس حجة للإسلام ضد هذه الافتراءات ... وشتان ما بين التعدد الذى «قيده» القرآن والتعدد المطلق كما ورد فى التوراة ..

❁ ❁ ❁

وإذا كان من المعروف أن المسيحيين لا يمارسون تعدد الزوجات ، فإن فريقاً من الباحثين يرى أن تعاليم المسيحية الأولى لم تكن تتضمن مثل هذا التحريم ، ويدلل على رأيه بحجج قوية نذكر بعضاً منها فيما يلى :

أولاً : أن الإنجيل لا يتضمن نصاً واحداً يحرم تعدد الزوجات ، ومعروف أن السيد المسيح ولد وبشر بتعاليمه فى بيئة يهودية ، واليهود فى ذلك الوقت كانوا يعرفون تعدد الزوجات ويمارسونه ، لاسيما الأغنياء والرؤساء منهم . ويبدو غريباً والحال كذلك أن يقصد السيد المسيح إلى تحريم تعدد الزوجات ولا ينص على هذا التحريم صراحة . وفضلاً عن ذلك فإن الأغنياء بصورة خاصة هم الذين كانوا يمارسون تعدد الزوجات . وقد هاجم السيد المسيح

أغنياء اليهود ورؤساءهم . ونعدد برذائلهم . فلو قصد حقيقة إلى تحريم تعدد الزوجات لما سكت عليه ، بل لهاجمه بوصفه إحدى هذه الرذائل .

ثانياً : أن لوثر مؤسس أحد المذاهب الرئيسية فى المسيحية كان ينظر إلى تعدد الزوجات بشيء كثير من التسامح ، فقد قال فيه : «إن الرب لم يحرمه وإبراهيم نفسه الذى كان مسيحيا كاملا كانت له زوجتان ،حقا إن الرب لم يسمح بمثل هذه الزيجات إلا لبعض الرجال فى التوراة ، وفى ظل ظروف خاصة ، وأن المسيحى الذى يريد الإقتداء بهم أن يثبت أن ظروفه متشابهة لهذه الظروف ، إلا أن تعدد الزوجات أفضل يقيناً من الطلاق» .

ثالثاً : أن بعض الفرق المسيحية ناضلت بشدة من أجل تقرير تعدد الزوجات ومارسته ، من هذه الفرق مثلاً الأنابيتيست Anaboptists فى ألمانيا (فى منتصف القرن السادس عشر) ، حيث كانوا يبشرون بتعدد الزوجات علانية ، ويقولون إن المسيحى الحقيقى يجب أن تكون له زوجات متعددات . ومنها المورمون Mormons فى الولايات المتحدة الأمريكية (فى أوائل القرن التاسع عشر) الذين كانوا يمارسون تعدد الزوجات ، وينظرون إليه باعتباره نظاماً إلهياً ، ومن الطريف أنهم كانوا ينظرون إلى الزوجة الأولى بوصفها الزوجة الحقيقية ، ومن حقها وحدها أن تحمل اسم زوجها ولقبه .

رابعاً : أن بعض ملوك أوروبا وأمرائها فى العصر الوسيط مارسوا تعدد الزوجات نذكر منهم شارلمان وفيليب أمير هيس وفردريك جيوم أمير بروسيا فقد كانت لكل منهم زوجتان .

ومن رأى هذا الفريق من الباحثين أن تحريم تعدد الزوجات فى أوروبا يرجع إلى تأثير التقاليد اليونانية والرومانية ، فقد كان اليونان والرومان يتبعون مبدأ وحدة الزوجة وذلك قبل ظهور المسيحية بمئات السنين . و لم يكن الرجل لدى الرومان فى البداية يعاقب إذا اتخذ زوجة ثانية قبل أن يفصم زواجه الأول، وإبرام الرجل زواجاً ثانياً كان يعتبر فى حد ذاته منطوياً على فصم

للزواج الأول ، وفيما بعد عوقب الرجل الذى يتزوج ثانية قبل أن يفصم زواجه الأول ، ومن عجب أن الذى عاقب على الجمع بين امرأتين هو الإمبراطور دقلديانوس الذى اقترن اسمه باضطهاد المسيحيين اضطهاداً شهيراً فى التاريخ[١] .

وينتهى هذا الفريق من الباحثين إلى أن تعدد الزوجات لم يحرم فى المسيحية إلا فى القرون الوسطى ، ومن جانب الكنسية الكاثوليكية بصفة خاصة .

وبعد :

فهناك مثل عربى يقول : رمتنى بدائها وانسلت ..

أى اتهمتنى بما فيها من أمراض وعلل . ثم وقفت بعيداً عنى تقول للناس:

ابتعدوا عن هذا المعلول حتى لا تصيبكم عدوى ما فيه من مرض .. وهذه هو شأن مفكرى الغرب وقادته مع الإسلام .. ومع المسلمين فى كل مكان .. لكن ... لماذا ؟

بهذا السؤال تساءلت الطالبات مندهشات من هذا الموقف ... قلت : إن الإجابة على هذا السؤال تحتاج إلى وقت أطول تسترجع فيه معاً أبعاد هذه القضية منذ نشأت ... وبعبارة أوضح ... نستعرض فيه موقف الغرب من الإسلام موقفاً بعد موقف ... غير أنى أزيدكم وضوحاً برواية هذا الحوار الذى كان بين عالم إسلامى كبير هو المرحوم الشيخ الدكتور مصطفى السباعى وبين البروفسور أندرسون رئيس قسم قوانين الأحوال الشخصية الشرقية فى كلية الدراسات الشرقية بجامعة لندن :

يقول المرحوم الشيخ مصطفى السباعى[٢] :

---

(١) انظر فى هذا الموضوع : تعدد الزوجات لدى الشعوب الأفريقية د. محمود زناتى ص٦٩ وما بعدها .

(٢) المرأة بين الفقه والقانون .

حين سافرت إلى أوروبا فى عـام ١٩٥٦ موفـداً مـن جامعـة دمشـق فـى رحلة استطلاعية للجامعات والمكتبات العامة ، كـان ممـن اجتمعـت بهـم فـى لندن «البروفسور أندرسون» رئيس قسم قوانـين الأحـوال الشـخصية الشـرقية فى معهد الدراسات الشرقية فى جامعة لندن ، وجرى بيننا - فيما جـرى مـن الأحاديث - نقاش حول تعدد الزوجات فى الإسلام .

- سألنى أندرسون : ما رأيك فى تعدد الزوجات ؟

- قلت له : نظام صالح يفيد المجتمعات فـى كثـير مـن الظـروف إذا نفـذ بشروطه .

قال : أنت إذا على رأى محمد عبده بوجوب تقييده ؟

قلت : قريباً من رأيه لا تمامـاً ، فـإنى أرى أن يقيـد بقـدرة الـزوج علـى الإنفاق على الزوجة الثانية ليمكـن تحقيـق العـدل بـين الزوجـات كمـا طلـب الإسلام .

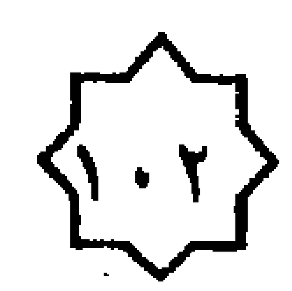
قال : وهل مثلك فى هذا العصر يدافع عن تعدد الزوجات ؟

قلت : إنى أسألك فأجبنى بصراحة . من كـانت عنـده زوجـة فمرضـت مرضاً معدياً أو منفراً لا أمل بالشفاء منـه . وهـو فـى مقتبـل العمـر والشباب فماذا يفعل ؟ هل أمامه إلا ثلاث حالات فإما . أن يطلقها ، أو يتزوج عليها ، أو أن يخونها ويتصل بغيرها اتصالاً غير مشروع ؟

قال : بل هناك رابعة ، وهى أن يصبر ويعف نفسه عن الحرام .

قلت : وهل كل إنسان يستطيع أن يفعل ذلك ؟

قال : نحن نستطيع أن نفعل ذلك بتأثير الإيمـان فـى نفوسـنا . فتبسـمت وقلت : أتقول هذا وأنـت غربـى ؟ أنـا أفهـم أن يقـول هـذا القـول مسـلم أو



مسيحى شرقى ، فقد يستطيع أن يكف نفسه عن الحرام ، لأن محيطه لا يهيئ له وسائل الاختلاط بالمرأة فى كل ساعة يشاء .

ولأن تقاليده وأخلاقه لا تزالان تسيطران على تصرفاته ، ولأن الدين لا يزال له تأثير فى بلاده

أما أنتم أيها الغربيون الذين لم تتركوا وسيلة للاتصال بالمرأة والاختلاط بها والتأثير عليها وإغوائها إلا فعلتم ، حتى لم تعودوا تستطيعون أن تعيشوا ساعة من نهار أو ليل دون أن تروا المرأة أو تخالطوها منذ تغادرون البيت حتى تعودوا إليه . أنتم الذين يضج مجتمعكم بالأندية والبارات والمراقص ، وتغص شوارعكم بالأولاد غير الشرعيين ... تدعون أن دينكم يمنعكم من خيانة الزوجة المريضة ، وكيف ذلك وخيانات الزوجات الجميلات الصحيحات الشابات تملأ أخبارها أعمدة الصحف والكتب ، وتصك الآذان ، وتشغل دوائر القضاء ؟

قال : إننى أخبرك عن نفسى ، فأنا أستطيع أن أضبط نفسى وأصبر .

قلت : حسناً ، فكم تبلغ نسبة الذين يضبطون أنفسهم من الغربيين أمثالك بالنسبة إلى الذين لا يصبرون .

قال : لا أنكر أنهم قليلون جداً ..

قلت : وهل ترى أن التشريع يوضع للقلة التى يمكن أن تعد بعدد الأصابع ؟ أم للكثرة والجمهرة من الناس ؟ وما فائدة التشريع الذى لا يستطيع تطبيقه إلا أفراد محدودون ؟

فسكت وانتهت المناقشة فيما بيننا ..

بعد هذا يحق لنا أن نتعجب من إثارة الغربيين للضجة على الإسلام والمسلمين حول تعدد الزوجات ، ونتساءل :

ألا يشعرون فى قرارة أنفسهم بأنهم ليسوا على حق فى إثارة هذه الضجة ؟

ألا يشعرون بأن من يقتصر على أربعة خير ممن يجدد كل ليلة زوجة ؟ وأن من يلتزم نحو من يتصل بها بمسؤوليات أدبية ومالية أنبل ممن يتخلى أمامها عن كل مسؤولية ؟

ألا يشعرون أن إنجاب نصف مليون ولد بصورة مشروعة أكرم وأحسن للنظام الاجتماعى من إنجابهم بصورة غير مشروعة ؟

فى اعتقادى أنهم يشعرون بذلك لو تخلوا عن غرورهم من جهة وتعصبهم من جهة أخرى .

أما الغرور فهو اعتقادهم أن كل ما هم عليه حسن وجميل ، وأن ما عليه غيرهم من الأمم والشعوب - وبخاصة المستضعفة منها - سيئ وقبيح .

وأما التعصب فهو هذا الذى مازالوا يتوارثونه جيلاً بعد جيل ضد الإسلام ونبيه الكريم ...

وأذكر حين كنت فى دبلن «أرلندا» عام ١٩٥٦ ، أن زرت مؤسسة الآباء اليسوعيين فيها وجرى حديث طويل بينى وبين الأب المدير لها ، وكان مما قلته له :

لماذا تحملون على الإسلام ونبيه فى كتبكم المدرسية بما لا يصح أن يقال فى مثل هذا العصر الذى تعارفت فيه الشعوب والتقت الثقافات ؟

فأجابنى : نحن الغربيين لا نستطيع أن نحترم رجلاً تزوج تسع نساء .. !

قلت له ، هل تحترمون نبى الله داود ، ونبيه سليمان ؟

قال : بلى ، وهما عندنا من أنبياء التوراة .



قلت : إن نبـى الله داود كـان لـه تسـع وتسـعون زوجـة أكملهـن بمائـة بالزواج من زوجة قائده . «أوريا» كما هو معلوم .

ونبى الله سليمان كانت له – كما جاء فى التوراة – سبعمائة زوجة من الحرائر وثلاثمائة من الجوارى وكن أجمل أهل زمانهن ، فلم يستحق احـترامكم مـن يتزوج ألـف امـرأة ، ولا يستحق مـن يتزوج تسـعاً ؟ لمـاذا لا يسـتحق احترامكم من تزوج تسعاً ثمانية منهن ثيبات ، وأمهـات ، وبعضهـن عجـائز ، والتاسعة هى الفتاة البكر الوحيدة التى تزوجها طيلة عمره ؟ ! !

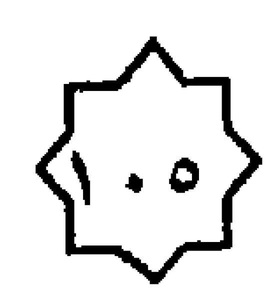
❁ ❁ ❁

والشريعتان الدينيتان السابقتان للإسلام – وهما الإسرائيلية والمسـيحية – مختلفتان فى أحكام زواج وفى النظر إلى معناه وغاية من الوجهة الروحية .

فالشريعة الإسرائيلية أباحت تعدد الزوجات بمشيئة الـزوج حسـب رغبتـه واقتداره كما قرأنا وسمعنا من أخبار العهـد القديـم أن داود وسـليمان عليهمـا السلام – وهما ملكـان نبيـان – جمعـا بين مئـات مـن الزوجـات الشـرعيات والإماء ، ولم يلحق بهما اللوم إلا لما نسب إلى داود من الـزواج بـامرأة قـائده «أوريا» بعد تعريضه للقتل فى الحرب ، وما نسب إلى سـليمان مـن مطاوعتـه لإحدى زوجاته فى إقامة الشعائر المخالفة للدين .

وكما جاء في الإصحاح الثانى عشـر مـن سـفر صمويـل الثـانى . بقـول النبى ناثان لداود : «أنا مسحتك ملكاً على إسرائيل وأنقذتك من يـد شـاول وأعطيتك بيت سيدك ونساء سيدك ... لماذا أخذت امرأة أوريا لك امرأة ؟...

وكما قرأنا فـى الإصحـاح الحـادى عشـر مـن سـفر الملوك الأول الملـك سليمان : «أحب نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون : مؤآبيـات وعمونيـات وأدوميات وصيدونيات وحيثيات ... فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة ، وكـانت له سبعمائة من النساء السيدات وثلثمائة من السرارى. فأمالت نساؤه قلبه..».



ويقول نيوفلد صاحب كتاب «قوانين الزواج عند العبرانيين الأقدمين» . «إن التلمود والتوراة معا قد أباحا تعدد الزوجات على إطلاقه ، وأن كان بعض الربانيين ينصحون بالقصد فى عدد الزوجات .

وان قوانين البابليين وجيرانهم من الأمم التى اختلط بها بنو إسرائيل كانوا جميعاً على مثل هذه الشريعة من الأمم التى اختلط بها بنو إسرائيل كانوا جميعاً على مثل هذه الشريعة فى اتخاذ الزوجات على إطلاقه ، مصحوبة بإباحة التسرى على أنواعه ، وهى كثيرة كما يؤخذ من الأسماء التى كانت تطلق على النساء المملوكات فى مصطلحات العهد القديم ، فكان للرجل أن يملك ما يشاء بين أمة وسرية وجارية وعبدة وسبية من النساء المملوكات بالسبى أو الشراء . وقد يؤخذ من أعمالهن المنسوبة إليهن فى كتب العبرانيين أنهن درجات مختلفات فى المنزلة الاجتماعية والصفات الشرعية ، ولكن الواحدة منهن قد تذكر باسم جارية فى موضع ، واسم أمة فى موضع آخر ، ويعود هذا – على الأرجح – إلى حالة المالك الذى يستطيع أحياناً أن يخصص للخدمة المنزلية خادمة غير السرية ، ويحتاج إلى استخدام السرية فى أعمال البيت كلها مما تقوم به الزوجة عادة حيث لا توجد الجارية أو السرية . وأياً كان عمل النساء المملوكات فهن – بطبيعة الحال – لا يتساوين فى المكانة الأدبية ولا فى قيمة الثمن ، ولا فى صفات الجمال والذكاء ، ومنهن من كانت تحل محل الزوجة العقيم برضا الزوجة ، لتلد للرجل ذرية تتبناها تلك الزوجة ، وتنتقل إليها حقوقها فى الميراث ، وتظل الجارية أم البنين فى مقام وسط بين مقام ربة البيت والأمة المملوكة التى تباع وتشترى .

وكل هذه العلاقات بين الرجل ونساء بيته كانت تباح على إطلاقها ، ولا يشرع لها قيد غير قيد الوثيقة الشرعية ، سواء كانت وثيقة زواج أو وثيقة شراء .

وبقيت حقوق الزوجات ، وأشباه الزوجات ، على هذه الحال في الشرائع القديمة قبل الإسلام إلى زمن بعيد[1] .

❁ ❁ ❁

ثم جاءت المسيحية – ولم يرد في كتبها نص صريح بتحريم تعدد الزوجات وإنما ورد في كلام بولس استحسان الاكتفاء بزوجة واحدة ، لرجل الدين المنقطع عن مآرب دنياه .

وبقي تعدد الزوجات مباحاً في العالم المسيحي إلى القرن السابع عشر . كما جاء في تواريخ الزواج بين الأوروبيين ، ويقول : " وستر مارك " في تاريخه .

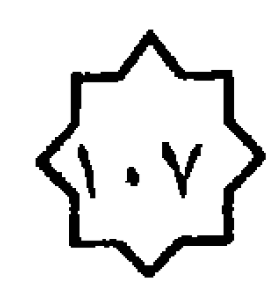
" أن " ديارمات " ملك ايرلنده كان له زوجتان وسريتان ، وتعدد زوجات الملوك الميروفنجيين غير مرة في القرون الوسطى ، وكان لشرلمان زوجتان وكثير من السراري ، كما يظهر من بعض قوانينه أن تعدد الزوجات لم يكن مجهولاً بين رجال الدين أنفسهم . وبعد ذلك بزمن كان فيليب أوف هيس . وفردريك وليام الثاني البروسي يبرمان عقد الزواج مع اثنتين بموافقة القساوسة اللوثريين .

وأقر مارتن لوثر نفسه تصرف الأول منهما . كما أقره «ملانكتون» .

وكان لوثر يتكلم في شتى المناسبات عن تعدد الزوجات بغير اعتراض فإنه لم يحرم بأمر من الله ولم يكن إبراهيم يحجم عنه إذ كان له زوجتان . نعم أن الله أذن بذلك لأناس من رجال العهد القديم في ظروف خاصة ، ولكن المسيحي الذي يريد أن يقتدي بهم ، يحق له أن يفعل ذلك متى تيقن أن ظروفه تشبه تلك الظروف . فان تعدد الزوجات على كل حال أفضل من الطلاق .

---

(١) المرأة بين الفقه والقانون للمرحوم الشيخ الدكتور مصطفى السباعي .



وفى سنة ١٦٥٠ الميلادية - بعد صلح وستفاليا ، وبعد أن تبين النقص فى عدد السكان من جراء حروب الثلاثين - أصدر مجلس الفرنكيين بنورمبرج قراراً يجيز للرجل أن يجمع بين زوجتين . بل ذهبت بعض الطوائف المسيحية إلى إيجاب تعدد الزوجات . ففى سنة ١٥٣١ نادى اللامعمدانيون فى مونستر صراحة بأن المسيحى - حق المسيحى - ينبغى أن تكون له عدة زوجات . ويعتبر المورمون كما هو معلوم أن تعدد الزوجات نظام إلهى مقدس .. »

وقال جرجى زيدان : « فالنصرانية ليس فيها نص صريح يمنع أتباعها من التزوج بامرأتين فأكثر ، ولو شاؤا لكان تعدد الزوجات جائزاً عندهم ، ولكن رؤساءها القدماء وجدوا الاكتفاء بزوجة واحدة أقرب لحفظ نظام العائلة واتحادها - وكان ذلك شائعاً فى الدولة الرومانية - فلم يعجز تأويل آيات الزواج حتى صار التزوج بغير امرأة حراماً كما هو مشهور » .

ونرى المسيحية المعاصرة تعترف بالتعدد فى أفريقيا السوداء ، فقد وجدت الإرساليات التبشيرية نفسها أمام واقع اجتماعى وهو تعدد الزوجات لدى الأفريقيين الوثنيين . ورأوا أن الإصرار على منع التعدد يحول بينهم وبين الدخول فى النصرانية فنادوا بوجوب السماح للأفريقيين المسيحيين بالتعدد إلى غير حد محدود ، وقد ذكر السيد تورجيه مؤلف كتاب " الإسلام والنصرانية فى أواسط أفريقية " (ص ٩٢-٩٨) هذه الحقيقة ثم قال :

« فقد كان هؤلاء المرسلون يقولون إنه ليس من السياسة أن نتدخل فى شؤون الوثنيين الاجتماعية التى وجدناهم عليها ، وليس من الكياسة أن نحرم عليهم التمتع بأرواحهم ما داموا نصارى يدينون بدين المسيح ، بل لا ضرر من ذلك ما دامت التوراة وهى الكتاب الذى يجب على المسيحيين أن يجعلوه أساس دينهم تبيح هذا التعدد ، فضلاً على أن المسيح قد أقر ذلك فى قوله :

«لا تظنوا أنى جئت لأهدم بل لأتمم» أ . هـ .

وأخيراً أعلنت الكنسية رسمياً السماح للأفريقيين النصارى بتعدد الزوجات إلى غير حد[1] ...

والشعوب الغربية المسيحية وجدت نفسها تجاه زيادة عدد النساء على الرجال - وبخاصة بعد

الحربين العالميتين - إزاء مشكلة اجتماعية خطيرة لا تزال تتخبط فى إيجاد الحل المناسب لها .

وقد كان من بين الحلول التى برزت ، إباحة تعدد الزوجات . فقد حدث أن مؤتمراً للشباب العالمي عقد فى " ميونيخ " بألمانيا عام ١٩٤٨ - واشترك فيه بعض الدارسين المسلمين من البلاد العربية : وكان من لجانه لجنة تبحث مشكلة زيادة عدد النساء فى ألمانيا أضعافاً مضاعفة عن عدد الرجال بعد الحرب ، وقد استعرضت مختلف الحلول المشكلة وتقدم الأعضاء المسلمون فى هذه اللجنة باقتراح إباحة تعدد الزوجات . وقوبل هذا الرأى أولاً بشىء من الدهشة والاشمئزاز ولكن أعضاء اللجنة اشتركوا جميعاً فى مناقشة فتبين بعد البحث الطويل أنه لا حل غيره ، وكانت النتيجة أن أقرت اللجنة توصية المؤتمر بالمطالبة بإباحة تعدد الزوجات لحل المشكلة .

وفى عام ١٩٤٩ تقدم أهالى «بون» عاصمة ألمانيا الاتحادية بطلب إلى السلطات المختصة يطلبون فيه أن ينص فى الدستور الألمانى على إباحة تعدد الزوجات[2] .

بل ذكرت الصحف فى هذا الوقت أن الحكومة الألمانية أرسلت إلى مشيخة الأزهر تطلب منه نظام تعدد الزوجات فى الإسلام لأنها تفكر فى الاستفادة منه كحل لمشكلة زيادة النساء . ثم اتبع ذلك وصول وفد من علماء

---

(١) انظر فى هذا الموضوع : تعدد الزوجات لدى الشعوب الأفريقية دكتور محمود زناتى سلسلة : اقرأ .

(٢) الدكتور محمد يوسف موسى فى الأحكام الشخصية ١٢١ طبعة ثانية .

الألمان اتصلوا بشيخ الأزهر لهذه الغاية . كما التحقت بعض الألمانيات المسلمات بالأزهر لتطلع بنفسها على أحكام الإسلام فى موضوع المرأة عامة وتعدد الزوجات خاصة .

وقد حدثت محاولة قبل هذه المحاولات فى ألمانيا أيام الحكم النازى لتشريع تعدد الزوجات ، فقد حدثنا زعيم عربى إسلامى كبير : أن هتلر[١] حدثه برغبته فى وضع قانون يبيح تعدد الزوجات . وطلب إليه أن يضع له فى ذلك نظاماً مستمداً من الإسلام . ولكن قيام الحرب العالمية الثانية حالت بين هتلر وبين تنفيذ هذا الأمر .

وقد سبق أن حاول " إدوارد السابع " مثل هذه المحاولة فأعد مرسوماً يبيح فيه التعدد ولكن مقاومة رجال الدين قضت عليه[٢] .

ثم أن المفكرين الغربيين الأحرار أثنوا على تعدد الزوجات ، وبخاصة عند المسلمين ، فقد عرض "جروتيوس" العالم القانونى المشهور لموضوع تعدد الزوجات فاستصوب شريعة الآباء العبرانيين والأنبياء فى العهد القديم[٣] .

وقال الفيلسوف الألمانى الشهير "شوبنهور" : فى رسالته «كلمة عن النساء» :

«إن قوانين الزواج فى أوربا فاسدة المبنى بمساواتها المرأة بالرجل ، فقد جعلتنا نقتصر على زوجة واحدة فأفقدتنا نصف حقوقنا ، وضاعفت علينا واجباتنا ، على أنها ما دامت أباحت للمرأة حقوقاً مثل الرجل كان من اللازم أن تمنحها أيضاً عقلاً مثل عقله ...

---

(١) المرحوم الحاج أمين الحسينى مفتى فلسطين الأكبر .

(٢) الغلاييني : الإسلام روح المدنية : ٢٢٨ الطبعة الجديدة .

(٣) العقاد فى «حقائق الإسلام وأباطيل خصومه» : ١٧٧ .

إلى أن يقول .. «ولا تعدم امـرأة مـن الأمـم التـى تجـيز تعـدد الزوجـات زوجاً يتكفل بشؤونها ، والمتزوجـات عندنـا نفـر قليـل ، وغـيرهن لا يحصـين عدداً ، تراهن بغير كفيل : بين بكر من الطبقات العليا قد شاخت وهى هائمة متحسرة ، ومخلوقـات ضعيفـة مـن الطبقـات السـفلى ، يتجشـمن الصعـاب ويتحملن شاق الأعمـال ، وربمـا ابتذلـن فيعشـن تعيسـات متلبسـات بـالخزى والعار . ففى مدينـة (لنـدن) وحدهـا ثمـانون ألـف بنـت عموميـة (هـذا عهـد شوبنهور..) سفك دم شرفهن على مذبحة الزواج ضحية الاقتصار على زوجـة واحدة ، ونتيجة تعنت السيدة الأوروبية وما تدعيه لنفسها من الأباطيل» .

• سؤال من الآنسة "ديانا" ...

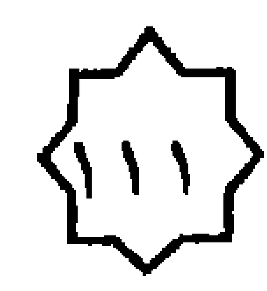
قالت هذه الآنسة وهى تبتسم : هل يفهم من هذا الكلام الذى قلته : إن الإسلام يوجب على المسلم التزوج بأكثر من واحدة .. ؟

قلت للآنسة .. ديانا :

إذا كان الإسلام يبيح للمسلم التزوج بأكثر من واحـدة ... فليس معنـى هذا : الوجوب أو الإلزام بأكثر من واحدة ..

مثلاً . لقد أباح الإسلام للمسلم أن يتزوج يهودية أو مسيحية ولكن ... لا يفهم من هذه الإباحة ضرورة التزوج من اليهودية أو المسيحية . فقد يتزوج المسلم من يهودية وقد لا يتزوج . وقد يتزوج من مسيحية أو لا يتزوج . وهو فى كلتا الحالتين - الزواج أو عدم الزواج - غير معاقب شـرعاً ... ولا يعتـبر فى نظر الإسلام آثماً أو عاصيًا .

فإذا قلنا بعد ذلك : إن الإسلام يبيح التعدد ... فليس معنـى ذلـك إلـزام المسلم بالتزوج بأكثر مـن واحـدة .. بـل معنـاه عـدم اعـتراض الإسلام علـى التزوج بأكثر من واحدة .. وبشرط الالتزام بالأحكـام والأصـول المقـررة فـى زواج الرجل بأكثر من واحدة ...



• سؤال من الآنسة كاترين:

وهل اشترط الإسلام شروطا على من يتزوج بأكثر من واحدة؟

قلت : للآنسة كاترين

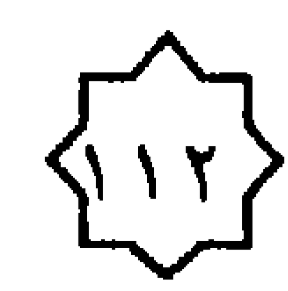
لقد اشترط الإسلام شروطاً لابد من توافرها فى حال الزواج بأكثر من واحدة ...

والأصل فى إباحة التعدد قول الله تبارك وتعالى ﴿ فأنكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع . فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعدلوا ﴾ .

فالآية تبيح التعدد المشروط بالعدل بين الزوجات فى الواجبات والحقوق. فإذا خاف الرجل على نفسه من الجور وجب عليه تخلصا لنفسه من الإثم أن يكتفى بزوجة واحدة تسكن إليه ويسكن إليها ، وقد ذكرت الأحاديث المروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : من كانت له امرأتان فمال إلى إحداهما جاء يوم القيامة وشقه مائل .

وقد فهم بعض الناس من قوله تعالى ﴿ فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة ﴾ ومن قوله تعالى بعد ذلك فى آخر السورة ﴿ ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم - فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة ﴾ . فهموا من هاتين الآيتين استحالة قيام العدل بنفس القدرة عليه كما جاء فى الآية الثانية وبذلك لا يقع التعدد أبداً لارتباطه بشرط مستحيل الإمكان والوقوع .

وحقيقة الأمر فى هذه القضية أن العدل المطلوب عند التعدد والذى نصت عليه الآية الأولى إنما هو العدل المقدور للإنسان فى مطالب الحياة الحسية والمادية كالطعام والمسكن والملبس والمبيت إلى غير ذلك من شؤون الحياة المختلفة ، والعدل المنفى فى الآية الثانية هو العدل القلبى الذى يتصل بالوجدان والمشاعر والمحبة والود وهذه الأمور التى لا دخل فيها لقدرة الإنسان



المادية المحسوسة ، ولذلك أثر عن النبى صلى الله عليه وسلم " قوله فى هذه الأمور النفسية عندما كان يميل إلى السيدة عائشة « اللهم هذا قسمى فيما أملك فلا تلمنى فيما تملك ولا أملك ... »

❁ ❁ ❁

ثم ما هى الحكمة التشريعية فى إباحة التعدد الذى جاء به الإسلام ؟

• سؤال من الآنسة "كارول" ..

إن التعدد المشروع فى الإسلام لم يكن وليد نزوة أو شهوة ، ولم ينزل به القرآن الكريم تلبية لأصحاب الرغائب واللذة .

إن نظرة واحدة إلى عالمنا الذى نعيش فيه تكشف لنا الكثير من أسرار هذه الحكمة الإلهية السامية ، فنساء العالم اليوم يزدن عن الرجال بأكثر من مائتى مليون نسمة . إن فى مدينتى " برلين " و " لندن " وحدهما يزيد عدد النساء على الرجال بأكثر من مليون امرأة . فأين يذهب هذا العدد الكبير إذا منعنا الزواج بأكثر من واحد ؟ وأيهما أفضل للمرأة : أن تبيع نفسها لطلاب المتعة أم ترضى بالحياة مع رجل عنده زوجة ؟ ومن للأرمل والمطلقة ؟ وماذا يعمل الرجل بزوجة مريضة مشلولة الحركة والإرادة ؟

والعقيم التى حرمته زينة الحياة الدنيا ؟ وأيهما أحسن للعقيم والمريضة : أن تبقى فى رعاية زوجها مصونة مكرمة أم نسلمها للمحن والخطوب والغربة؟ والحروب التى تغتال الرجل دون المرأة ؟ والأعمال المرهقة التى تفتك بالرجال وتعرضهم للموت فى كل لحظة ؟ فى قاع البحار وفى ظلمات المناجم وفى أعمال الإنقاذ : من يقوم بهذا العمل معوضاً نفسه للتهلكة ؟ أن منع تعدد الزوجات أساس كل كارثة أخلاقية. وفى ذلك تقول كاتبة إنجليزية: لقد كثرت الشاردات من بناتنا وعم البلاء ولا فائدة إلا فى العمل بما يمنع هذه الحالة التعسة وإباحة الزواج للرجال بأكثر من واحدة ، فالبلاء كل البلاء

في إجبار الرجل الأوروبي على الاكتفاء بواحدة . ولو كان تعدد الزوجات مباحاً لما نزلت بنا هذه الكارثة . !

وقد حدث هذا الشيء في تركيا الدولة المسلمة بعد أن سلخت نفسها من التقاليد الإسلامية وقلدت الغرب في منع الزواج بأكثر من واحدة . لم تمض غير سنوات قليلة حتى شاعت الفاحشة في كل ناحية وكثرت الولادات السرية . وزاد عدد اللقطاء في كل مدينة وانتهى بهم الحال إلى فوضى أخلاقية مشينة .

يقول العلامة الفرنسي ألفونس آتيين دينية :

هل في زوال تعدد الزوجات فائدة أخلاقية ؟ ويجيب العلامة الفرنسي رداً على هذا السؤال : أن هذا أمر مشكوك فيه . فالدعارة التي تندر في أكثر الأقطار الإسلامية سوف تتفشى فيها وتنتشر آثارها المخربة ، وسوف يظهر في بلاد الإسلام داء لم تعرفه من قبل هو : عزوبة النساء التي تنتشر بآثارها المفسدة في البلاد المقصور فيها الزواج على واحدة ...

ثم قلت موجهاً سؤالي إلى طالبات جامعة سان دي فنسنت :

هل قرأتن قصة السيدة جوان Joan في صحيفة سيدني مورننج هيرالد ؟

تقول هذه السيدة في رسالتها الموجهة إلى راعي الكنيسة التي تعيش قريباً منها في مقاطعة نيوانجلتد New England :

أبي ..

إن الحياة فقدت قيمتها بالنسبة لي .. فالمرارة والحزن يعصرانني .. وكم من مرة حاولت أن أصل إلى قرار أضع به حداً لمعاناتي المتكررة .. لماذا يعاقبنا الله إذا كان لم يترك لنا ما يعاقبنا من أجله ... ؟

لقد ضحيت كثيراً وأعطيت ما فيه الكفاية حتى لم يعد فى نفسى متسع لمزيد من المعاناة ، كما لم يعد فى مقدرتى استعداد لمزيد من العطاء .. لقد ضحيت وأعطيت وعانيت ، و لم أنشد مقابل عطائى وتضحيتى ومعاناتى سوى راحة البال . لذلك - وبالرغم من أنى مؤمنة - فإنى تخليت عن هذا الإيمان لأنه لم يحقق لى ابسط مبرر لوجوده وهو راحة البال ... ؟

لقد حاولت أن أنهى حياتى ثلاث مرات طوال العشرين عاماً الماضية ... وليست حالتى هذه فريدة من نوعها ... فكم من عائلات كثيرة تعانى نفس معاناتى . ولها نفس مشكلاتى ، وليس لها هدف أكثر من راحة البال لتبرر به الاستمرار فى معاناتها ... ؟ إننى لا أطلب نصيحة بل أرشدنى فقط كيف أحصل على راحة البال قبل أن أموت ..

ترى لو كانت هذه السيدة . التعيسة ... البائسة ... تعيش فى كنف رجل هل كانت تفكر فى الانتحار والموت ... وتعزف عن الحياة بهذه المرارة واليأس .. ؟

إن فى عالمنا هذا مئات الملايين من أمثال هذه السيدة .. والعلاج الوحيد هو إباحة التعدد الذى لم تحرمه شريعة سماوية واحدة .

هل سمعن بقصة الفلاح الإيطالى "لويجى" ؟

إنها قصة طريفة .. وان كانت حقيقية ... وشغلت الرأى العام الإيطالى لفترة طويلة .

فقد اكتشفت السلطات فى جزيرة سردينيا الإيطالية ان لويجى ، الفلاح يعيش فى منزله مع ست سيدات وأن لديه من الأطفال أحد عشر طفلاً .

فقبضت السلطات عليه وقدمته للتحقيق ، وكان كلام الرجل الساذج فى غاية البساطة والصراحة إذ قال :

« لقد تزوجت بهؤلاء السيدات لأنهن فقيرات ولا يجدن عملاً ويرفضن الهجرة لشمال إيطاليا لأنهن لا يردن بيع أجسامهن كما فعلت الكثيرات ممن هاجرن . فضلاً عن أنهن لا يملكن المال للسفر .. عرفت السيدات أنى أتزوج من لا تجد عملاً فكانت كل واحدة تأتي وتبكى فأتزوجها .. والأولاد هم أولادى منهن » .

وقال رداً على سؤال المحقق عما إذا كان قد تزوجهن زواجاً فى الكنيسة وعلى ان القانون يحرم الزواج بأكثر من واحدة بقوله « لا ... لم نتزوج فى الكنيسة ... كانت الواحدة تحضر وتطلب الزواج ، وكثيراً ما كان من سبقنها إلى الزواج حاضرات عند حضورها ، فكنت أخبرها بأنى متزوج فهل تقبل العيش مع زوجاتي .. فإذا قبلت وقبلت الزوجات قلت لها : أنت زوجتى ... وهكذا كان يتم الزواج ... وأنا لا أعرف القوانين ... » !

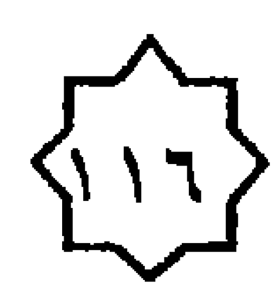
وفى يوم وليلة أصبح لويجى وزوجاته نجوم الصحافة وتنافست الصحف فى نشر صورهم وأخذ الأحاديث منهن وكان كلام الجميع بسيطاً ساذجاً :

- أكدت الزوجات أنهن اللاتى طلبن الزواج لأن الجوع كان قاسياً ولأنهن لم يجدن أى عمل شريف . !

- أكدت الزوجات أيضاً ان لويجى قد أوجد لكل واحدة عملاً فى أرضه وأنهن يشاركن فى الأعمال المنزلية . !

- قالت الزوجات رداً عما إذا كان لويجى لا يفرق بينهن فى عواطفه أو أن هناك مشاكل بسبب الغيرة أو الأولاد بأن لويجى رجل طيب ويعاملهن جميعاً بمحبة وبعدالة وأنهن يعشن فى سلام وتعاون ومحبة . !

رغم كل هذه الحقائق البسيطة ظلت الصحافة تتعامل مع أخبار وتحقيقات وكاريكاتير لويجى وأسرته بسخرية لاذعة ونالت ما تنشره اهتماماً



واسعاً من القراء وأبدى الكثير من الرجال الإيطاليين حسدهم لهذا الفلاح الذى يعاشر ست سيدات مرة واحدة .. !

وجاءت المحاكمة ووقف لويجى أمام هيئة القضاء يروى قصته ببساطة وهى نفس ما رواه أثناء التحقيق ولكن جو المحكمة والرهبة التى يولدها القضاة بملابسهم والمحامون بأروابهم قد جعلت كل من فى القاعة المحتشدة بالجمهور يستمعون بروح ونفسية تختلف عما كانت تستقل بها ما تنشره الصحافة .

ختم لويجى قصته بتوجيه سؤال لرئيس المحكمة : « هل كنت أتركهن يمتن جوعاً .. ؟ أو يبعن أعراضهن ؟ ! أليس ديننا يأمرنا بأن نطعم الجائع ونحافظ على عرض النساء .. ؟ ! إنى أسمع البابا فى الراديو يقول ذلك ... هل أنا غلطان ... ؟ » ! !

وجاء دور الزوجات لأداء الشهادة وكانت كلماتهن على بساطتها تمزق القلوب إذ يصفن الفقر والجوع وإذ يتحدثن عن لويجى الذى بطيب أخلاقه وقلبه فتح لهن باب الحياة الشريفة النظيفة . وعاملهن بالتساوى وأحبهن جميعاً، وأن الأولاد بعضهم يساعد بالعمل فى محطات البنزين وفى أماكن أخرى .

وصفت الصحافة فى ذلك الوقت رهبة المحاكمة والعطف الذى أثارته شهادة السيدات على الفلاح لويجى فوصف الفقر الموجود فى سردينيا وأثر هذا الفقر على غالبية أهل الجزيرة خصوصاً الفتيات ، قد هز المشاعر وكانت بمثابة الصدمة التى أفاقت المجتمع .

أغرب ما فى الأمر ان المحكمة إذ أصدرت حكمها لم تتعرض لتهمة تعدد الزوجات لا بالإدانة ولا بالبراءة واقتصرت على الحكم على لويجى بشهرين حبس مع إيقاف التنفيذ لأنه لم يقدم لإدارة الضرائب أى تقرير عن دخله...!!!

تقول كاتبة إنجليزية فى مقـال نشر فى جريدة " لندن ترييبون " « إن الرجال يقل عددهم عن النساء .. والرجل يتأخر عادة فى الزواج حتى يتم تعليمه ويحصل على عمل أو وظيفة ، بينما تصلح الفتاة للزواج فى سن مبكرة.. إذن فخير للمرأة أن تشترك مع أخرى فى ظل بيت شرعى من أن تظل عانساً أو بغياً تهدر كرامتها بين أحضان الرجال العابثين ».

❁ ❁ ❁

لقد حذر علماء الاجتماع فى جامعات نيويورك عام ١٩٧١م من ارتفاع عدد الغانيات ، ونبه الدكتور تشارلى دينيك إلى خطر ظاهرة انحلال الفتيات ، وإدمانهن على المخدرات نتيجة لتفكك الأسرة وانعدام رعاية الآباء ...

وفى لوس أنجلوس كشف معهد أبحاث أميركى عن فضيحة أخلاقية مفزعة .. وهى أن عشرة آلاف فتاة فى كاليفورنيا وحدها قد أنجبن أطفالاً غير شرعيين – وأن عدد البنات اللاتى ولدن ولادات غير شرعية فى الولايات المتحدة يزيد على ٣٠٠ ألف فتاة – وأنه فى مدرسة ثانوية واحدة فى مدينة لوس أنجلوس ظهرت أعراض الحمل على ٢٥٠ طالبة ، وما يحدث فى أمريكا يحدث مثله فى بريطانيا وألمانيا والسويد وغيرها من دول أوروبا .

ففى أمريكا عدد الشركات الجنسية التى تتخذ من المرأة بضاعة رائجة ما يقرب من مائتين وخمسين شركة جنسية .

وقد أعلن الرئيس السابق نيكسون بنفسه ان أرباح التجارة بالمرأة قد عادت على أصحابها بأكثر من مليارى دولار فى عام ١٩٧٢م[1] .

وفى مدينة نيويورك وحدها بلغ عدد البغايا (٢٥) ألف بغية تستهلك الواحدة منهن (٥٠ دولاراً) من المخدرات يومياً .. !

---

(١) انظر د/ عبدالحليم عويس : الإسلام أولاً ص٦٣ .

وفى نيويورك أيضاً يوجد أغرب مجمع فى العالم يضم أعضاء من مختلف الولايات المتحدة يقدر عددهم بحوالى ١٥ مليوناً هم المنحرفون جنسياً (بين منتسبين ومنتظمين) ...

❁ ❁ ❁

أما عن حوادث الإجهاض الناجمة عن العلاقات غير الشرعية . والتى يلجأ إليها الرجل فى أوروبا نتيجة لتقييد التعدد .. فان من الضرورى أن نذكر انه قد ترتب على عمليات الإجهاض هذه أمور خطيرة حتى ان منظمة الصحة العالمية لاحظت بقلق شديد تزايد حالات الوفاة الناجمة عن الإجهاض بشكل مطرد فقد أصبحت تمثل اليوم نحو ١٠٪ من جملة الوفيات بين الأمهات[١] .

والمؤسف أن بعض الحكام فى العالم الإسلامى قد انخدع بهذه الحركة .. وبدأ يحارب نظام التعدد ويشرع القوانين التى تجرم من يرتكبه .

لقد منع تعدد الزوجات : وحصلت حادثة أمام سمعه وبصره ، حصلت حادثة : هذه الحادثة تتلخص فى أن شخصاً من الأشخاص متزوج ، وعنده أولاد من زوجته ثم أصبحت زوجته هذه فى وضع غير صالح لاستمرار الزوجية من الناحية الجنسية فكان هو بين أمرين : إما أن يزنى ، وأما أن يتزوج ، والتعدد ممنوع ، فماذا يصنع ؟

امرأته الأولى لم تزن . ليست مسؤولة عما حدث لها . هذا قضاء الله بالنسبة لها . فما ذنبها لتطلق ؟ ولم يطلقها ؟ إنها لم تسئ إليه . لم يطلق . وإنما ذهب وعقد عقداً شرعياً ، على امرأة ، وتزوجها بحسب الشرع ، وأسكنها فى مسكن ، وكان يذهب إليها ويبيت عندها . وبلغ عنه أنه تزوج امرأة أخرى ، والقانون فى هذه الناحية لا يتساهل وذهبت الشرطة وضبطوه

(١) كاترين فالابربج – كتاب : تنظيم الأسرة .

متلبساً بالجريمة ، جريمة الزواج بامرأة أخرى ، وأتى به للتحقيق ، وقـالوا لـه : هل تزوجت امرأة أخرى ؟ فقال : كلا .. فقيل له .. ولكنك كنت عندها ..

قال : نعم ....

– وتنفق عليها ....

– نعم ،

– وقد استأجرت لها هذا المسكن .....

– نعم ......

– وتبيت عندها ....

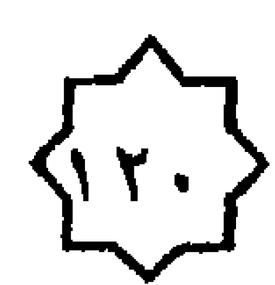
– وأبيت عندها ....

– ماذا تكون إذن ؟ – إنها عشيقة .....

فقيل له : تفضل اذهب ، لا ملام عليـك ، لا لـوم عليـك .... حرموهـا زوجة ، وأباحوها عشيقة بقانونهم .

ان " اتيين دينييه " مستشرق فرنسى ، كان قد ذهب إلى الجزائر فى عهـد الفرنسيين وهـو فرنسـى ، وأقـام فـى الجزائـر فـى بلـدة اسمهـا " بوسـعادة " . استراح إلى الجو ، واستراح إلى الناس ، واستراح إلى الخلق .. وكلهـا أغرتـه : الجو ، الطبيعة ، الصحراء ، الناس كلها أغرته بأن يقيـم فـى الجزائـر ، فأقـام ، أقام فى عهدين : عهد كان فيه التعدد مسموحاً به ، وعهـد حـدث فيـه عـدم التعدد ، أو الدعوة إلى عدم التعدد ، أو الإقلال من التعدد .

وبعد ذلك لاحظ ثلاث ملاحظات ، كتبها باللغـة الفرنسية ، فـى أحـد الكتب ، كتب يقول : حينما منع التعدد والطلاق ، وجدت ظواهر ، لم تكـن موجودة ، أيام كانت إباحة التعدد والطلاق .



ما هى هذه الظواهر ؟ هذه الظواهر التى وجدت عندما منع التعدد :

أولاً : كثرة العوانس ، هذا أمر .

الأمر الثانى : كثرة اللقطاء .

الأمر الثالث : كثرة الأمراض السرية .

هذه المسائل الثلاث ، حدثت بعد أن منع التعدد وبعد أن منـع الطـلاق . وليس معنى إباحة التعدد أنه مفروض ، وليس معنى ذلك أنه لابد من التعدد..

❁ ❁ ❁

ملحق خاص عن
زواج النبى[1] صلى الله عليه وسلم

كان للنبى صلوات الله عليه خصوصية فى أمر تعدد الزوجات ، جازت له قبل سريان حكم التقييد بعدد لا يزيد على أربع لسائر المسلمين .

وأمثال هذه " الخصوصية " ليست بالشىء النادر عند تأسيس النظم الاجتماعية قبل تمام الانتقال من نظام إلى نظام لأنها استثناء توجيه مصلحة النظام الجديد ولا يتأتى شموله بالتعميم فى جميع الأحكام .

ومن شروطه ألا يتكرر بعد من يختص به للمرة الأولى ، وللمرة الأخيرة . لأن تكراره يجعله نظاماً قائماً إلى جانب النظام الجديد . وقد كانت خصوصية النبى عليه السلام مفردة مقصورة عليه غير قابلة للتكرار ، لأنها ارتبطت بمصلحة الدعوة فى ابانها ، ولم يكن للدعوة رسول سواه ولم يكن له غنى عن تلك الخصوصية فى البلاد التى تأسست فيها الدعوة الأولى ، وهى بلاد الأنساب وروابط المصاهرة والولاء بين الأسر والبيوت .

وقد تحتاج الحكمة فى امتياز الرسول بتلك الخصوصية إلى شرح وإيضاح..

أما الحقيقة الواضحة التى لا حاجة بها إلى شرح ولا إيضاح فهى نزاهة تلك الخصوصية مما يعاب على الرجل أو على المرأة ، وخلوصها من شوائب الهوى النفسى ، ولو كان من السائغ المباح .

لم تكن الخصوصية لتمكين صاحبها من المتعة والاستغراق فى مناعم الحياة الجنسية . فإن البيت الذى يشكو نساؤه قلة المؤنة والزينة ، لا يقال عنه انه

---

(١) من كتاب المرأة فى القرآن : للمرحوم عباس العقاد .

بيت رجل تملكه أهواء نفسه وتغلبه على رشده . والرجل الذى يملك الجزيرة العربية ولا يمد يده لاغتراف الثروة التى تكفى زوجاته ، وتملى لهن فى الترف والزينة ، لن يكون رجلاً مغلوب الحس منساقاً مع غواية المتعة ووساوس الشهوات ، وليس بالرجل المخلوق لطلب اللذة من ينهض بما نهض به نبى الإسلام من عظائم الأمور فى مدى سنوات معدودات .

أما النساء اللآتى اجتمعن فى بيت النبى فلم تكن عليهن مهانة يشعرن بها ، أو يشعر بها أحد من أترابهن ، أو من عامة المسلمين ، أغنيائهم وفقرائهم على السواء . بل كان دخول المرأة فى عداد أمهات المؤمنين شرفاً لا يعلوه شرف ، ولا تطمع امرأة من أعرق البيوتات فى كرامة حاضرة باقية أرفع من هذه الكرامة . التى تناظر بها سيدات العرب والعجم من أقدم العصور إلى آخر الزمان .

وقد تقدم ان سليمان الحكيم جمع بين ألف امرأة من الحرائر والإماء ، كما جاء فى كتب العهد القديم ، ولعلهن اجتمعن فى ذلك الحرم مأسورات مملوكات ، ولعلهن رضين به رضى عن الترف والجاه ، فى قصر يعلو على القصور . أما نساء محمد عليه السلام فما أرضاهن عن المقام فى بيته على الشظف والكفاف مال ولا جاه من جاه الأبهة والسلطان ، وإنما هو جاه الروح ترتفع إليه المرأة بهدى الرسالة ، ولا يرفعها إليه هدى سوى هداها .

وإذ تنزهت الخصوصية التى انفرد بها محمد عليه السلام عن مهانة تشين الرجل أو المرأة فقد ظهرت الحكمة فيها أيما ظهور ، وامتنع كل وجه من وجوه تعليلها وتفسيرها إلا أن تكون فى سبيل الدعوة ، لا فى سبيل محمد ولا آل محمد ، وإلا أن تكون تعليماً بارزاً لحكمة التشريع فى تعدد الزوجات وهى تدعيم النظام الاجتماعى بالمصاهرة ، وصيانة المرأة من الفتنة والمهانة .

فقد جمعت المصاهرة أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً فى رسالة واحدة هى رسالة الدين .

وقد كانت كل سيدة من أمهات المؤمنين تأوى إلى البيت الطـاهر . فإنما تأوى إليه اعتصاماً من الارتداد والوقوع فى أيدى الحاقدين عليها من ذويهـا ، أو تأوى إليـه لإكرامهـا عـن منزلـة دون منزلتهـا ، أو عـن عرضهـا علـى مـن يضارع أهلها ممن لا يرغبون فيها وكان فيهن النصف ، والعاقر ، ومن لا مآل لها غير التأيم ، أو العرض المستكره على أشراف القوم من أندادهـا ، ولا يخلـو ذلك العرض من غضاضة عليها ، لما يساورها من الظن بقبوله حياء مـن النبـى وطاعة لأمره ، وليس لإيثار البناء بالسيدة على عرضهـا لـلزواج بين أصحابـه غير سبب واحد يعقله المنصف والمكابر ، لأنه لا يقبل الفهم المعقول على وجه آخر : وذلك هو جبر الخاطر ، والـبر بـالمرأة المؤمنـة ان ينتهـى بهـا إيمانهـا إلى الحطة والهوان ، ويكفى ان تسرد أسماؤهن وتذكر أحوالهن عند بناء النبى بهن، لتنقطع الظنة فى أسباب كل زواج شملته الخصوصية النبوية .

« ... و لم يحدث قط ان اختار زوجة واحـدة لأنهـا مليحـة أو وسـيمة ، و لم يبن بعذراء قط إلا العذراء التى علم قومـه جميعاً أنـه اختارهـا لأنهـا بنـت صديقه وصفيه وخليفته من بعده : أبى بكر الصديق رضى ا لله عنه » .

« هذا الرجل الذى يفترى عليه الأئمة الكاذبون انه الشهوانى الغارق فـى لذات حسـه – وقـد كـانت زوجتـه الأولى تقـارب الخمسـين وكـان هـو فـى عنفوان الشباب لا يجاوز الخامسـة والعشـرين وقـد اختارتـه زوجـاً لهـا ، لأنـه الصادق الأمين فيما اشتهر بـه بـين قومـه مـن صنعـة وسـيرة ، وفيمـا لقبـه بـه عارفوه وعارفو الصدق والأمانة فيه ، وعاش معها إلى يوم وفاتها علـى أحسـن حال من السيرة الطاهرة والسمعة النقية ، ثم وفى لها بعد موتها فلم يفكر فـى الزواج ، حتى عرضته عليه سيدة مسلمة رقت له فى عزلته فخطبت له السيدة عائشة بإذنه ، و لم تكن هذه الفتاة العزيزة عليه تسمع منه كلمـة ترضيهـا غـير ثنائه على زوجته الراحلة ووفائه لذكراها ».

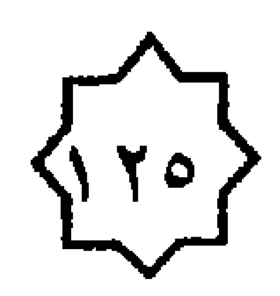
« وما بنى – عليه السلام – بواحدة من أمهات المسلمين لما وصفت به عنده من جمال ونضارة ، وإنما كانت صلة الرحم والضن بهن على المهانة هى الباعث الأكبر فى نفسه الشريفة على التفكير فى الزواج بهن . ومعظمهن كن أرامل مؤيمات فقدن الأزواج أو الأولياء ، وليس من يتقدم لخطبتهن من الأكفاء لهن ان لم يفكر فيهن رسول الله » .

« فالسيدة سودة بنت زمعة مات ابن عمها المتزوج بها بعد عودتها من الهجرة إلى الحبشة ، ولا مأوى لها بعد موته إلا أن تعود إلى أهلها ، فيكرهوها على الردة أو تتزوج بغير كفء لها لا يريدها » .

« والسيدة هند بنت أبى أمية – أم سلمة – مات زوجها عبد الله المخزومى ، وكان أيضاً ابن عمها ، أصابه جرح فى غزوة أحد فقضى عليه ، وكانت كهلة مسنة فاعتذرت إلى الرسول عليه السلام بسنها ، لتعفيه من خطبتها ، فواساها قائلاً : " سلى الله ان يؤجرك فى مصيبتك ، وأن يخلفك خيراً " فقالت : " ومن يكون خيراً لى من أبى سلمة ؟ " وكان الرسول عليه السلام يعلم ان أبا بكر وعمر قد خطباها فاعتذرت بمثل ما اعتذرت به إليه ، فطيب خاطرها وأعاد عليها الخطبة حتى قبلتها » .

« والسيدة رملة بنت أبى سفيان تركت أباها وهاجرت مع زوجها إلى الحبشة ، فتنصر زوجها وفارقها فى غربتها بغير عائل يكفلها ، فأرسل النبى عليه السلام إلى النجاشى يطلبها من هذه الغربة المهلكة ، وينقذها من أهلها إذا عادت إليهم راغمة من هجرتها فى سبيل دينها ، ولعل فى الزواج بها سبباً يصل بينه وبين أبى سفيان بوشيجة النسب فتميل به جفاء العداوة إلى مودة تخرجه من ظلمات الشرك إلى هداية الإسلام » .

« والسيدة حورية بنت الحارث سيد قومه ، كانت بين السبايا فى غزوة بنى المصطلق، فأكرمها النبى عليه السلام ان تذل ذلة السباء، فتزوجها وأعتقها وحض المسلمين على أعتاق سباياهم ، فأسلموا جميعاً وحسن إسلامهم ،



وخيرها أبوها بين العودة إليه والبقاء عند رسول الله فاختارت البقاء فى حرم رسول الله » .

« والسيدة حفصة بنت عمر بن الخطاب مات زوجها ، فعرضها أبوها على أبى بكر فسكت ، وعرضها على عثمان فسكت ، وبث عمر أسفه للنبى فلم يشأ أن يضن على صديقه ووليه بالمصاهرة التى شرف بها أبا بكر قبله ، وقال له : " يتزوج حفصة من هو خير لها من أبى بكر وعثمان » .

« والسيدة صفية الإسرائيلية بنت سيد بنى قريظة خيرها النبى بين أن يردها إلى أهلها ، أو يعتقها ويتزوجها ، فاختارت البقاء عنده على العودة إلى ذويها . ولولا الخلق الرفيع الذى جبلت عليه نفسه الشريفة ، لما علمنا أن السيدة صفية قصيرة يعيبها صواحبها بالقصر ، ولكنه سمع إحدى صواحبها تعيبها بقصرها ، فقال لها ما معناه من روايات لا تخرج عن هذا المعنى : انك قد نطقت بكلمة لو ألقيت فى البحر لكدرته ، جبر خاطر الأسيرة الغريبة ان تسمع فى بيته ما يكدرها ويغض منها » .

« والسيدة زينب بنت جحش – ابنة عمته – زوجها من مولاه ومتبناه زيد بن حارثه فنفرت منه وعز على زيد أن يروضها على طاعته ، فأذن له النبى فى طلاقها ، فتزوجها عليه السلام لأنه هو المسؤول عن زواجها ، وما كان جمالها خفياً عليه قبل تزويجها بمولاه ، لأنها كانت بنت عمته ، يراها من طفولتها و لم تفاجئه بروعة لم يعهدها » .

« والسيدة زينب بنت خزيمة مات زوجها عبد الله بن جحش قتيلاً فى غزوة أحد و لم يكن بين المسلمين القلائل فى صحبته من تقدم لخطبتها ، فتكفل بها عليه السلام إذ لا كفيل لها من قومها » .

« وهذا هو الحريم المشهور فى أباطيل المبشرين وأشباه المبشرين ، وهذه هى بواعث النفس التى استعصى على المبطلين أن يفهموها على جليتها ، فلم

يفهموا منها أنها بواعث إنسان غارق فى لذات الحس ، " ولقد أقام هؤلاء الزوجات فى بيت لا يجدن فيه من الرغد ما يجده الزوجات فى بيوت الكثيرين من الرجال ، مسلمين كانوا أو مشركين . وعلى هذا الشرف الذى لا يدانيه عند المرأة المسلمة شرف الملكات أو الأميرات ، شقت عليهن شدة العيش فى بيت لا يصبن فيه من الطعام والزينة فوق الكفاف ، والقناعة بأيسر اليسير ، فاتفقن على مفاتحته فى الأمر ، واجتمعن يسألنه المزيد من النفقة ، وهى موفورة لديه لو شاء أن يزيد حصته من الفيء ، فلا يعترضه أحد ولا يحاسبه عليه . إلا أن الرجل المحكم فى الأنفس والأموال - سيد الجزيرة العربية - لم يستطع أن يزيدهن على نصيبه ونصيبهن من الطعام والزينة ، فأمهلهن شهراً وخيرهن بعده ان يفارقنه ، ولهن منه حق المرأة المفارقة من المتاع الحسن ، أو يقبلن ما قبله لنفسه معهن من ذلك العيش الكفاف » .

« ولو ان هذا الخبر من أخبار بيت النبى كان من حوادث السيرة المحمدية التى تخفى على غير المطلعين المتوسعين فى الإطلاع ، لقد كان للمبطلين بعض العذر فيما يفترونه على نبى الإسلام من كذب وبهتان ، إلا أنه خبر يعلمه كل من اطلع على القرآن ووقف على أسباب التنزيل ، وليس منها ما هو أشهر من كتاب التفسير من أسباب نزول هذه الآيات فى سورة الأحزاب :

﴿ يا أيها النبى قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحاً جميلاً . وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيماً ﴾[1] .

❁ ❁ ❁

« وأقل المبشرين المحترفين ولعاً بالتفتيش عن خفايا السيرة النبوية خليق أن يطلع على تفاصيل هذا الحادث بحذافيره ، لأنه ورد فى القرآن الكريم خاصاً

---

(١) سورة الأحزاب - ٢٩ .

بالمسألة التى يتكالب المبشرون المحترفون على استقصاء أخبارها ، وإحصاء شواردها ، وهى مسألة الزواج وتعدد الزوجات . وقد كان لهذا الحادث الفريد فى سيرة النبى صدى لم يبلغه حادث من الحوادث التى عنيت بها العشيرة الإسلامية ، حين كانت فى بيئتها المحدودة ، تحيط بإيمانها إحاطة الأسرة بأبيها » .

« حدث عمر بن الخطاب رضى ا لله عنه قال : " كنا تحدثنا ان غسان تنتعل النعال لغزونا ، فنزل لصاحبى يوم نوبته ، فرجع عشاء ، فضرب بابى ضرباً شديداً وقال : أثم هو ؟ ففزعت فخرجت إليه ، وقال : حدث أمر عظيم . قلت : ما هو ؟ أجاءت غسان ؟ قال : لا بل أعظم منه وأطول ... طلق النبى صلى ا لله عليه وسلم نساءه .. » .

« ولما تألب ربات البيت يشكون ويلحفن فى طلب المزيد من النفقة ، لبث النبى فى داره مهموماً بأمره ، وأقبل أبو بكر فوجد الناس جلوساً لا يؤذن لأحد منهم فدخل الدار ولحق به عمر بن الخطاب ، فوجد النبى واجماً وحوله نساؤه ، فأحب أبو بكر أن يسرى عنه بكلمة يقولها ، وكأنه فطن لسر هذا الوجوم من النبى بين نسائه المجتمعات حوله فقال : " يا رسول ا لله . لو رأيت بنتي خارجة ... سألتنى النفقة فقمت إليها فوجأت عنقها . فضحك النبى وقال : هن حولى كما ترى يسألننى النفقة . فقام أبو بكر إلى عائشة يجأ عنقها ، وقام عمر إلى حفصة يجأ عنقها ويقولان : تسألن رسول ا لله ما ليس عنده ؟ وا لله لا نسأل رسول ا لله شيئاً أبداً ليس عنده .. » .

« وهجر النبى نساءه شهراً ، يمهلهن ان يختزن بين البقاء على ما تيسر له ولهن من الرزق ، وبين الانصراف بمتعة الطلاق . وبدأ بالسيدة عائشة فقال : "أنى أريد أن أعرض عليك أمراً أحب ألا تعجلى فيه حتى تستشيرى أبويك". فسألته : " وما هو يا رسول ا لله ؟ فعرض عليها الخيرة مع سائر نسائه فى أمرهن . فقالت : " أفيك يا رسول ا لله استشير قومى ؟ بل اختار ا لله ورسوله

والدار الآخرة " . وأجاب أمهات المسلمين بما أجابت به السيدة عائشة ، وانتهت هذه الأزمة المكربة بسلام ، وما استطاع صاحب الدار - وهو يومئذ أقدر رجل فى العالم المعمور - ان يحل أزمة داره بغير إحدى اثنتين : ان يجمع النية على فراق نسائه . أو يقنعن معه بما لديهن من رزق كفاف » .

- أعن مثل هذا الرجل يقال انه حلس شهوات وأسير لذات ؟
- أعن مثله يقال إنه ابتغى من رسالته مأربا يبغيه الدعاة غير الهداية والإصلاح.

« فيم كان هذا الشقاء بأهوال الرسالة وأوجاعها من ميعة الشباب إلى سن لا متعة فيها لمن صاحبه التوفيق والظفر أو لمن صاحبته الخيبة والهزيمة ؟ ».

« أتراه يريدها مخاطراً بأمته وحياته ، مستخفاً بالهجرة من وطنه والعزلة بين أهله ، ليسوم نفسه بعد ذلك عيشة لا يقنع بها أقرب الناس وأعلاهم شرفاً بالانتماء إليه ؟ » .

«أمن أجل الحس ولذاته يتزوج الرجل بمن تزوج بهن ، وهو سيد الجزيرة العربية وأقدر رجالها على اصطفاء النساء الحسان من الحرائر والإماء ؟ ».

« وهل يتزوج بهن الشهوان الغارق فى لذات الحس ليقتدين به فى اجتواء الترف والزينة وخلوص الضمير للإيمان با لله وابتغاء الدار الآخرة ؟ ».

« وما مأربه من كل ذلك ان كان له مأرب فى طويته غير مأربه فى العلانية ؟ وعلام يجاهد نفسه ذلك الجهاد فى بيته وبين قومه ان لم تكن له رسالة يؤمن بها و لم تكن هذه الرسالة أحب إليه من النعمة والأمان ؟ » .

« ان المبشرين المحترفين لم يكشفوا من مسألة الزواج فى السيرة النبوية مقتلاً يصيب محمداً ، أو يصيب دعوته من ورائه ، ولكنهم قد كشفوا منها حجة لا حجة مثلها فى الدلالة على صدق دعوته ، وإيمانه برسالته ،



وإخلاصه لها فى سره ، كإخلاصه لها فى علانيته ، لـولا أنهـم يعولـون علـى جهل المستمعين لهم لاجتهدوا فى السكوت عن مسألة الزواج خاصة أشد مـن اجتهادهم فى التشهير بها واللفظ فيها » .

وقصارى القول فى الخصوصية النبوية إنها لم تكن " امتيـازاً " مـن امتيـاز القوة المسيطرة لتسخير المرأة فى مرضاة خيلاء الرجل ، وحبه للمتعة الجسـدية، ولكنها كانت آية أخرى من معدن الأحكام القرآنية فيما تسفر عنه من عطف على المرأة وحياطة لها من مواقع الجور والإذلال ..

القسم الثالث من الحوار

- لقاء على غير موعد ..
- هل الطلاق ظلم يمارسه الرجل ضد المرأة ... ؟
- زوجة مفترسة ... وزوج بلا حماية ...
- عمر بن الخطاب والمرأة التى جاءت تطلب الطلاق ...
- الطلاق عند اليهود ..
- وعند المسيحيين .. ما جمعه الله لا يفرقه إنسان ...
- إذن ... فلن يتزوج أحد كما قال الحواريون للمسيح ...
- من تزوج مطلقة يزنى ... ومن يزنى فلا شىء عليه ... !
- وكان البديل .... خروجا على وصايا الإنجيل ...
- وهذا هو موقف الإسلام من الطلاق ...
- إحصائيات وأرقام من أوربا وأميركا ..
- وماذا تقول مجلة الايكونومست ... ؟
- شكرا .. طالبات جامعة سان دى فنسنت ..



لست أدرى لماذا غادرت مسكنى فى ألت ستريت . Alt St بضاحية أشفيلد Ashfield فى هذا الوقت من الصباح المبكر .

لقد كان من عادتى أن أغادر هذا البيت فى تمام الساعة الحادية عشرة قبل الظهر . فما الذى دفعنى إلى تغيير هذه العادة والخروج مبكرا فى هذا اليوم..؟

لم أكن أعرف لنفسى وجهة معينة . فقد ركبت القطار المتجه إلى مدينة سيدنى Sydney وتركت نفسى للصدفة أو الحظ دون هدف مسبق .

سمر هل Summer Hill لوى شام Lewi Sham بيتر شام peter Sham ستان مور Stan More نيوتاون Newtown ماكدونالد Mackdonald ردفرن Redfern سنترال Central تاون هول Townhll ميوزيم Muscum .

لقد تجاوز القطار كل هذه المحطات دون أن أعى أو أدرك ثم فجأة وجدتنى أغادر القطار فى محطة سان جيمس St. James الواقعة أسفل حديقة هايد بارك Hyed Park وهى محطة تذكرنى بمحطة لندنية قديمة اسمها تشوك فارم Chalk Farm

وبدون سبب يدعونى إلى التحدث فى التليفون وجدتنى اندفع إلى آلته المثبتة فى أحد أركان المحطة وأحرك دائرة أرقامه على التليفون الخاص بالمركز الإسلامى والمسجد ..

– أين أنت ؟

نطق بها الحارس المقيم بالمسجد فى بهجة تظهر من نبرة الصوت ..

– وهل حدث شىء ؟

– إن مجموعة من الفتيات ينتظرن فى المكتب ، وبينهن خمس فتيات من اللائى حضرن قبل ذلك إلى المسجد ..

❁ ❁ ❁



ترى بماذا يفسر الإنسان هذه الظواهر التى تبدو أحيانا غير معقولة ؟ لقد غادرت بيتى قلقا إلى جهة غير معلومة ، هكذا تعودت فى لحظات القلق والحيرة .. غير أن هذا القلق وهذه الحيرة كثيرا ما يقودانا إلى الحكمة الغائبة عن الإدراك والوعى ، وينتهيان بنا إلى غاية أو فرصة لم تكن فى الخاطر أو العقل .

وهكذا وجدتنى فجأة فى مواجهة جديدة مع الحوار الذى بدأته مع طالبات جامعة "سان دى فنسنت" غير إننى لم أكن أعلم ماذا تريده هؤلاء الفتيات فى هذا اليوم بالضبط ...

وانتظرت شاردا قدوم القطار المتجه إلى حى سرى هليز Surry Hills وفى أقل من عشرين دقيقة كنت أدلف إلى ساحة المسجد فى شارع الكومونولث Common Wealth .

... لورا ..دورثى . ريتا . ديانا . كارول . تريزا . باتى . جانيت بريجيت . مارى . هلين . جاكلين . سالى . فلورا . فانيسا . كارمن كاترتن. ليندا ...

ثمانى عشرة طالبة حضرن إلى المسجد لاستئناف الحوار حول "موقف الإسلام من المرأة ومشكلاتها فى هذا العصر ..

قلت للآنسة دورثى مداعبا :

– ما الذى أتى بكن فى هذا اليوم الذى تتعطل فيه الحياة والحركة . ويخرج الناس فيه إلى الحدائق للمرح والنزهة .. ؟

– وهل ضايقك حضورنا قبل تحديد موعد ؟ لقد علمنا من الحارس أنك تخصص يومى السبت والأحد للانتظار فى المسجد ؟

- ليس هذا ما أقصده يا آنسة دروثى . إنما أقصد ...هو تجشمكن المتاعب فى يوم يخرج فيه الناس إلى الحدائق والملاعب .. وعلى أية حال ... فإنى أرحب بكن ترحيبا يليق بهذه الهمة العالية . وأرحب مرة ثانية بزميلاتكن اللاتى يشرفننا لأول مرة ، وأرحب مرة ثالثة باستئناف الحوار الذى يهم كل فتاة وامرأة فى استراليا ...

❁ ❁ ❁

قالت الطالبات . فلورا . وليندا . وكارمن :

هل تسمح لنا بتخصيص هذه الحلقة من الحوار عن الطلاق فى المسيحية والإسلام . ؟

إننا نرى فى الطلاق - كما شرعه الإسلام - ظلما للمرأة وإهدارا لحقوقها مع الرجال ؟ فما جمعه الله -كما يقول الإنجيل- لا يفرقه إنسان ..! قلت مازحا :

قبل الإجابة على هذا السؤال . أدعوكن لقراءة هذه القصة أو الحادثة التى نشرتها صحيفة مصرية وصلتنى قبل أيام .

تقول جريدة الجمهورية . التى نشرت هذه القصة أو الحادثة :

وقف الزوج يصرخ أمام المحكمة ..

جبارة . قوية .طاغية .. أكثر من مرة حاولت خنقى .. هشمت عظامى أكثر من مرة .. كسرت رجلى .. أنها عنيفة تتمتع بقوة خارقة .. فهى تجيد لعبة الكاراتيه التى تعلمتها خلال دراستها الثانوية .. !

وهدأت نبرة الزوج وهو يسترحم هيئة المحكمة لتحكم بطلاقه من زوجته حفاظًا على حياته ..

وبدأ الزوج يسرد قصة زواجه .

قال انه تزوجها عام ٦٥ وعاش معها بعض أيام شهر العسل ثم حدث بينهما خلاف بسيط قامت على أثره بنزع النظارة من على عينيه لتضغط عليها بإصبعها لتتهشم ثم أمسكت به وطرحته أرضا وأخذت تكيل له اللكمات حتى وقع على الأرض فاقد الوعى ويجد نفسه فى المستشفى لمدة ثلاثة شهور ويعالج خلالها من كسر فى إبهام يده اليمنى وكسر فى ترقوة عظام الكتف وكسر الساق اليسرى .. !

وقال الزوج ..

خرجت بعد علاجى أبحث عن زوجتى فوجدتها تخرج من مبنى مديرية الأمن .ولما سألتها عن سبب تواجدها فى هذا المكان استقلت السيارة وصدمته بها متعمدة فعاد إلى المستشفى مرة أخرى .. !

وأضاف الزوج .. إن حياتى بعد ذلك أصبحت جحيما مع الزوجة التى تمارس هوايتها فى كل خلاف يقع بيننا .

وأمام الدائرة (٢٠) بمحكمة القاهرة للأحوال الشخصية [لغير المسلمين] برئاسة عبد الرحمن عبد الحليم سليمان وعضوية الدكتور حسنى الجندى وحسين عبد الغنى وحضور أحمد إبراهيم وكيل النيابة وأمانة سر الضبع محمود حسانين شهد ابن خالة الزوج بأنه سمع من الزوج رواياته عن قسوة الزوجة وقوتها الخارقة .. كما أن الشاهد الثانى وهو ابن أخيه قال إنه خلال زيارته للزوج حدث خلاف بين الزوجين على نوع الطعام الذى تعده الزوجة للعشاء وبسرعة قامت الزوجة وأحاطت رقبته بكفيها فى محاولة لخنقه ..وحاولت منعها لكنها دفعتنى بيدين قويتين واتجهت بسرعة إلى المطبخ وجاءت تحمل سكينا توجهه لزوجها ففتحت الباب وصحبته معى للخارج .. لكن الزوجة خرجت بسرعة إلى الشارع واستقلت سيارتها وحاولت التحرش بنا فى الطريق .. وصدمت الزوج صدمة خفيفة طرحته أرضا .. ثم فرت بسيارتها قبل تجمع المارة ..

- هذا أمر فظيع وشنيع Horrible ... لكن لماذا لم يطلقها ويستريح ؟

- لم يكن ليستطيع ذلك لأن المحكمة لم تأخذ بأقواله فى التحقيق ..

ولأن ما جمعه الله لا يفرقه إنسان كما يقول متى على لسان السيد المسيح .. !

وتعالين نستمع إلى قصة أخرى .. أن بطل هذه القصة وبطلتها مسلمان.. والمرأة فى هذه القصة هى التى تطلب الطلاق على عكس ما رأينا فى القصة الأولى . أما لماذا ؟ فالأمر غريب جدا .. ولطيف جدا كما يتبين من مجرى الحديث والحوار .

لقد ذهبت امرأة إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، كانت امرأة فى غاية الرقة والجمال وكان معها زوجها الذى اصطحبته معها إلى الخليفة عمر بن الخطاب . وحين وقفا بين يديه قالت المرأة .

- يا أمير المؤمنين هذا زوجى وابن عمى وأنا لا أريده ففرق بينى وبينه..

فقال الزوج :

هذه زوجتى يا أمير المؤمنين ولم يمض على زواجنا أكثر من شهرين حتى جاءت تطلب الطلاق من غير ذنب جنيته ولا حدث أحدثته ..

قالت الزوجة :

هو ما أساء ولكن لا أريده..!

فنظر عمر إلى الزوج فإذا هو شاب قد طال شعره ، وركبته الأوساخ ولم تمسسه يد الحلاق ولا الماء منذ شهور .. وله لحية كشعر القنفذ ، وأظافر سود قذرة ، وعليه ثياب ممزقة بالية لا يعرف لها لون أو شكل وتنتشر رائحتها القذرة على بعد أمتار .

فقال عمر للزوجة : اذهبى وتعالى إلى غدا ..

ثم أشار إلى غلامه . فذهب بالرجل إلى الحلاق فأخذ من شعره ، وإلى الحمام فغسله وقص أظافره ، وألقى عنه هذه الثياب القذرة . واستبدل بها ثيابا جديدة نظيفة ثم جاء به من الغد ، وقد خلق خلقًا جديدًا وعاد رجلا آخر ، وبدا شبابه وجماله وصحته ، فلما حضرت الزوجة فى الموعد المحدد إلى مجلس عمر ورأته بجواره غضت بصرها حياء من جماله ورجولته ، لأنها لم تعرفه وحسبته رجلا غريبا .. !

فأشار عليه عمر أن أمسك بيدها . فلما أمسك بها وثبت غاضبة وخلصت يدها منه بقوة وقالت :

– أتهجم على بين يدى أمير المؤمنين أيها الفاسق .. !

فقال عمر مبتسما ..

– ويحك .. إن هذا زوجك . فنظرت إليه الزوجة غير مصدقة ثم ألقت بنفسها بين يديه وهى تبكى . ثم انصرفا راضيين ..

قال عمر :

هكذا فاصنعوا لهن . إنهن يحببن أن تتزينوا لهن . كما تحبون أن يتزين لكم[١] .

❁ ❁ ❁

أرأيتن كيف عالج الإسلام مشكلة هذه الزوجة التى ذهبت إلى الخليفة تطلب منه الطلاق ؟ وكيف نفذ هذا الخليفة ببصيرته إلى السبب الذى دفع الزوجة إلى اتخاذ هذا الإجراء ؟ ثم كيف عالج هذه المشكلة ببساطة تدعو إلى التقدير والإعجاب ... ؟ وهذا هو الفرق بين أسلوب الإسلام فى معالجة مشكلة الطلاق ، وبين أسلوب غيره المتسم بالعجز والقهر والإحباط ...

---

(١) أخبار عمر . على الطنطاوى طبعة دمشق .

وبادئ ذى بدء يجب أن نعرض أولا لمبادئ كل دين من الأديان حول هذه المشكلة التى يكثر حولها الجدل والنقاش .

عند اليهود مثلا : نجد الطلاق مباحا بشرط أن يعطى الرجل من طلقها وثيقة طلاق . و لم تحرم الشريعة اليهودية على الرجل أو المرأة أن يتزوج كلاهما بعد ذلك بمن يشاء .

وقد جاء فى الإصحاح الرابع والعشرين من سفر تثنية الاشتراع ما نصه بالحرف : « إذا اتخذ رجل امرأة وصار لها بعلا . ثم لم تحظ عنده لعيب أنكره عليها فليكتب لها كتاب طلاق ، ويدفعه إلى يدها ويصرفها من بيته . فإذا خرجت من بيته ومضت وصارت لرجل آخر . فأبغضها الرجل الآخر - أى الزوج الثانى - وكتب لها كتاب طلاق فدفعه إلى يدها وصرفها من بيته .أو مات الرجل الآخر - أى الزوج الثانى - الذى اتخذها له زوجة . فليس لبعلها الأول الذى طلقها أن يعود ويأخذها لتكون له زوجة بعدما تدنست »[١] ..

كما ورد ذكر الطلاق على أسلوب مجازى فى الإصحاح الثالث من كتاب أرميا حيث يقول وهو يندد بإسرائيل :

إذا طلق رجل امرأته فانطلقت من عنده وصارت لرجل آخر فهل يرجع إليها بعد .. ؟

وهكذا نرى أن الطلاق مشروع فى اليهودية ، ولا تزال أصول هذا التشريع فى أسفار العهد القديم حية وباقية .

فإذا انتقلنا بعد ذلك إلى المسيحية وجدنا أنفسنا أمام مذاهب ثلاثة يختلف موقف كل مذهب منها عن المذهب الآخر . وان اتفقت جميعها على اعتبار "الزنا" مبررا لانفصال الزوجين كلاهما عن الآخر ..

---

(١) العهد العتيق . سفر تثنية الاشتراع . المطبعة الكاثوليكية - بيروت ١٩٥١ وانظر أيضًا المرأة فى القرآن - عباس العقاد ص١٥٠ .

«... فالمذهب الكاثوليكى يحرم الطلاق تحريما باتا ، ولا يبيح فصم الزواج لأى سبب مهما عظم شأنه . وحتى الخيانة الزوجة نفسها لا تعد فى نظره مبررا للطلاق . وكل ما يبيحه فى حالة الخيانة الزوجية هو التفرقة الجسدية (حسب تعبيرهم) بين شخصى الزوجين ، مع اعتبار الزوجية قائمة بينهما من الناحية الشرعية ، فلا يجوز لواحد منهما فى أثناء هذه الفرقة أن يعقد زواجه ، على شخص آخر لأن ذلك يعتبر تعددا للزوجات[١] . وتعتمد الكاثوليكية فى مذهبها هذا على ما جاء فى إنجيل متى على لسان المسيح إذ يقول : "لا يصح أن يفرق الإنسان ما جمعه الله"[٢] .

والمذهبان المسيحيان الآخران ، الأرثوذكسى والبروتستانتى ، يبيحان الطلاق فى بعض حالات محدودة ، ومن أهمها الخيانة الزوجية ، ولكنهما كذلك يحرمان على الرجل والمرأة أن يتزوجا بعد ذلك .

وتعتمد المذاهب المسيحية التى تبيح الطلاق فى حالة الخيانة الزوجية على ما وردفى إنجيل متى على لسان المسيح إذ يقول :

«من طلق امرأته إلا بسبب الزنا يجعلها تزنى»[٣] .

وتعتمد المذاهب المسيحية فى تحريمها الزواج على المطلق والمطلقة على ما ورد فى إنجيل متى كذلك إذ يقول : «من يتزوج مطلقة يزنى»[٤] .

وفى نقد هذا النظام الكنسى يقول واحد من كبار فلاسفة المسيحيين أنفسهم، وهو العلامة الإنجليزى بنذام Bentham فى كتابه «أصول التشريع»:

---

(١) وقد بينا فى الفصل السابق أن تحريم التعدد فى المسيحية ليس له سند شرعى .

(٢) متى ، إصحاح ٦ ، ١٩ .

(٣) متى ، إصحاح ٥ ، ٣٢ .

(٤) متى ، إصحاح ٥ ، ٣٢ .

«حقا إن الزواج الأبدى هو الأليق بالإنسان ، والملائم لحاجته ، والأوفق لأحوال الأسرة ، والأولى بالأخذ ... ولكن إن اشترطت المرأة على الرجل ألا تنفصل عنه حتى لو حلت فى قلوبهما الكراهة الشديدة مكان الحب لكان ذلك أمرا منكرا لا يسيغه أحد من الناس . على أن هذا الشرط موجود بدون أن تطلبه المرأة .إذ القانون الكنسى يحكم به فيتدخل بين العاقدين حال التعاقد و يقول لهما : أنتما تقترنان لتكونا سعداء ، فلتعلما أنكما تدخلان سجنا سيحكم غلق بابه .. ولن أسمح بخروجكما وان تقاتلتما بسلاح العدواة والبغضاء» ...

❁ ❁ ❁

ويعلق الفيلسوف الإنجليزى على هذا الوضع بقوله : «ولو كان الموت وحده هو المخلص من زواج هذا شأنه لتنوعت صنوف القتل واتسعت مذاهبه» ! ! ! .

ولكن لحسن الحظ استحدث المسيحيون من القوانين المدنية ما يفتح لهم أبوابا للطلاق ويعفيهم من أن يلجأوا إلى القتل أو الانتحار للخروج من هذا السجن .

و لم يستطع رجال الدين المسيحيون صد هذا التيار ، ولا الوقوف فى وجه المنطق والعقل وضرورات الحياة ، فتركوا الأمور تجرى فى أعنتها ، واكتفوا بأن يظهروا من حين لآخر على مسرح الحوادث حينما يتعلق الأمر بملك أو أمير أو عظيم ، وحينما تكون الظروف السياسية مواتية لظهورهم ، ليثبتوا وجودهم ، وليبقوا على شىء من سلطانهم الدينى . كما حدث فى موضوع ملك إنجلترا الأسبق إدوارد الثامن الذى أراد أن يتزوج بمطلقة ملكت عليه قلبه ، وكانت الظروف السياسية مواتية حينئذ لإخراج هذا الملك والوقوف فى سبيل رغباته ، فظهرت الكنيسة مهددة بأناجيلها وبأن من "يتزوج مطلقة يزنى" ، فخير بين أن يمتثل لهذا الحكم ويحتفظ بالعرش ، أو

ينزل على حكم عقله وقلبه ويتنازل عن الملك . فآثر العقل على الخرافة ، والقلب على التاج .

ومن الغريب أنه كان معروفا لدى الخاص والعام ولدى الكنيسة والشعب أن هذا الملك كان يعاشر خليلته هذه وهى لا تزال فى عصمة زوجها قبل أن تطلق منه ، وكان لها جناح خاص فى قصره . ولم يرتفع صوت من الشعب ولا من رجال الكنيسة بالاحتجاج على ذلك . لأن هذه الأمور تعد فى عرفهم من الهنات الهينات .ولكن حينما أبدى رغبته ، بعد أن تمت إجراءات طلاقها من زوجها الأول ، بأن يتزوجها على سنة الأب والابن والروح والقدس ، وبأن يعاشرها معاشرة مشروعة ، معاشرة الزوج لزوجه ، لا معاشرة الخليل لخليلته ، قامت فى وجهة الكنيسة وقام فى وجهه رجال الدين. وقد حدث مثل ذلك أخيرا للأميرة مرجريت أخت ملكة الإنجليز الحالية . فقد أرادت أن تتزوج من ضابط أحبته وأحبها "الكابتن تاونسند" ، فقامت قيامة الكنيسة فى وجهها ، لأن هذا الضابط قد طلق زوجة له من قبل ، وقاعدة الكنيسة أن من يتزوج مطلقا يزنى : مع أن طلاقه هذا كان قد تم وفق الأوضاع المدنية والكنيسة نفسها ، لأن زوجته السابقة قد ثبتت عليها الخيانة الزوجية بأدلة قاطعة ، والكنيسة البروتستانتية نفسها التى يدين بها الإنجليز تبيح الطلاق فى هذه الحالة .

وهكذا لا يظهر رجال الكنيسة إلا حينما يكون الأمر متعلقا بملك أو أمير أو عظيم وحينما تكون الظروف السياسية مواتية لظهورهم . ولا يقصدون بذلك إلا انتهاز الفرص لإثبات وجودهم فى صورة بارزة والإبقاء على شىء من سلطانهم الدينى والظهور أمام الشعب بمظهر الجلال والقدسية وإقامة الدليل له بطريق عملى على أن مكانتهم فوق مكانة التيجان ومنزلتهم فوق منزلة الأمراء والملوك . ولا أدل على ذلك من أن آلافا من حالات الطلاق وزواج المطلقين والمطلقات تحكم بها المحاكم الأوروبية والأمريكية وتنفذها

الهيئات المدنية فى مختلف شعوب الغرب المسيحى على مرأى من الكنيسة ومسمع منها بدون أن تحرك ساكنا أو تقوى على الاعتراض على القوانين التى تبيح ذلك أو على حالات تطبيقها . ولا أدل على ذلك أيضا من أن رئيس وزراء إنجلترا الأسبق (سير انطونى ايدان) قد طلق زوجته الأولى التى هربت مع عشيق لها إلى أمريكا ، وهو الآن متزوج من غيرها ، ولم يرتفع صوت من الكنيسة بالاعتراض عليه ولا على توليه أكبر منصب في الدولة ، لأن الظروف السياسية غير مواتية لارتفاع مثل هذا الصوت .

❁ ❁ ❁

«ولقد كان من نتيجة هذا التزمت الغريب من المسيحية فى أمر الطلاق وإهدار الطبيعة الإنسانية والمقتضيات الحيوية التى توجب الانفصال فى بعض الأحيان – كان من نتيجة ذلك تمرد المسيحيين على دينهم ومروقهم من وصايا أناجيلهم كما يمرق السهم من الرمية . ولم يستطيعوا إلا أن « يفرقوا ما جمعه الله» فاصطنع أهل الغرب المسيحى قوانين مدنية تبيح لهم الخروج من هذا السجن المؤبد . ولكن كثيرا منهم كالأمريكان أسرفوا وأطلقوا العنان فى إباحة الطلاق – كأنهم يتحدون الإنجيل – وبذلك يوقعونه لأتفه الأسباب ، وأصبح عقلاؤهم يشكون من هذه الفوضى التى أصابت هذه الرابطة المقدسة، والتى تهدد الحياة الزوجية ونظام الأسرة بالانهيار ، حتى أعلن أحد قضاة الطلاق المشهورين هناك ، أن الحياة الزوجية ستزول من بلادهم وتحل محلها الإباحية والفوضى فى العلاقة بين النساء والرجال فى زمن قريب ، وهى الآن كشركة تجارية ينقضها الشريكان لأوهى الأسباب ، خلافا لهداية جميع الأديان، إذ لا دين ولا حب يربطهما ، بل الشهوات والتنقل فى وسائل المسرات» .

«.. وهذه الظاهرة وهى السير فى الأحوال الشخصية وفق قانون مدنى يختلف عن تعاليم الدين ، لا تكاد توجد فى غير شعوب الغرب المسيحى ،

فجميع أهل الملل والنحل الأخرى حتى البرهميون والبوذيون والوثنيون والمجوس يسيرون فى أحوالهم الشخصية وفق تعاليم دياناتهم وقد نجد من بينهم من استحدث فى الأحوال العينية قوانين مدنية تختلف عن تعاليم دينه . ولكننا لا نجد من بينهم من استحدث قوانين مدنية فى الأحوال الشخصية - أى فى شؤون الزواج والطلاق وما إلى ذلك - وأمكن لهذه الملل والنحل أن تساير الحياة العملية ، وتجارى طبيعة البشر فى هذه الشؤون . والمسيحيون وحدهم هم الذين كفروا بدينهم من الناحية العملية فى الأحوال الشخصية على العموم، وفى شؤون الطلاق على الخصوص ، لأنهم هم أنفسهم قد وجدوا أن تعاليمه فى هذا الصدد تنكر الواقع وتتجاهل طبيعة الإنسان ولا تصلح للتطبيق فى الحياة»[1] .

«وإن صح ما جاء فى الإنجيل بشأن الطلاق ، ولم يكن هذا من التغيير الذى أصاب الأناجيل فى قرونها الأولى .. فلا شك أن الذى يتأمل فى الأناجيل حتى بوضعها الحاضر - يتبين له أن المسيح عليه السلام ، لم يكن يقصد إلى وضع شريعة عامة خالدة للناس جميعا . وإنما جاء ليقاوم تجاوز اليهود حدودهم فيما رخص الله لهم فيه ، كما صنعوا فى أمر الطلاق فقد جاء فى الفصل التاسع عشر من إنجيل متى أن المسيح حين انتقل من الجليل وجاء إلى تخوم اليهودية عبر الأردن ، دنا إليه الفريسيون ليجربوه قائلين : هل يحل للإنسان أن يطلق زوجته لأجل كل علة ؟ "أى سبب" ، فأجابهم قائلا : أما قرأتم أن الذى خلق الإنسان فى البدء ذكرًا أو أنثى خلقهم ، وقال : لذلك يترك الرجل أباه وأمه ويلزم امرأته فيصيران كلاهما جسدًا واحدًا ، فليسا هما اثنين بعد ، ولكنهما جسد واحد وما جمعه الله فلا يفرقه الإنسان ، فقالوا له : فلماذا أوصى موسى أن تعطى (أى المرأة) كتاب طلاق وتخلى ؟ فقال لهم : إن موسى لأجل قساوة قلوبكم أذن لكم أن تطلقوا نساءكم ، ولم يكن من

---

(١) من كتاب حقوق الإنسان فى الإسلام للدكتور على عبدالواحد وافى ص٨٨ .

البدء هكذا . وأنا أقول لكم : من طلق امرأته إلا لعلة زنى، واخذ أخرى فقد زنى ومن تزوج مطلقة فقد زنى .فقال له تلاميذه : إن كانت هكذا حال الرجل مع امرأته فأجدر له ألا يتزوج»[١].

فالواضح من هذا الحوار أن المسيح إنما أراد أن يحد من غلو اليهود فى استعمال الإذن فى الطلاق الذى أعطاهم موسى ، فعاقبهم بتحريم الطلاق عليهم إلا إذ زنت المرأة . فهو علاج مؤقت لفترة مؤقتة حتى تأتى الشريعة العامة الخالدة ببعثة محمد .

وليس من المعقول أن المسيح يريد هذا شرعا أبديا لكل الناس ، فان حوارييه وأخلص تلاميذه أنفسهم أعلنوا استثقالهم لهذا الحكم العنيف وقالوا : « إن كان هذا شأن الرجل مع امرأته فأجدر له ألا يتزوج ، فان مجرد الزواج من امرأة يجعلها فى عنقه غلا لا يمكن الانفكاك عنه بحال ، مهما امتلأ قلبه من البغض لها والضيق بها والسخط عليها، ومهما تنافرت طباعهما واتجاهاتهما»[٢].

نعود بعد ذلك إلى سؤال الآنسة فلورا . والآنسة ليندا .والآنسة كارمن وإلى قولهن : «إننا نرى فى الطلاق - كما شرعه الإسلام - ظلما للمرأة وإهدارا لحقوقها مع الرجال» .

لأن ما جمعه ا لله - كما يقول الإنجيل - لا يفرقه إنسان ...

وهذه الجملة صحيحة من حيث المعنى . ولكن جعلها سببا لتحريم الطلاق هو الشىء الغريب حقا ...

ولتوضيح ذلك نقول :

إن معنى أن ا لله جمع بين الزوجين أى أذن بهذا الزواج وشرعه فصح أن ينسب الجمع إلى ا لله وإن كان الإنسان هو المباشر لعقد الزواج ، فإذا أذن ا لله

---

(١) متى : ١-١٠ .

(٢) الحلال والحرام فى الإسلام : د. يوسف القرضاوى ص٢٠٥ .

فى الطلاق وشرعه لأسباب ومبررات توجبه وتقتضيه فان التفريق حينئذ يكون من ا لله أيضا وان كان الإنسان هو الذى يباشر ذلك . وبذلك يتضح أن ا لله هو المفرق وهو المجمع .ثم أليس ا لله هو الذى فرق بينهما بسبب الزنا ؟

فلماذا لا يفرق بينهما بسبب آخر يوجب الفراق[1] .

❁ ❁ ❁

سؤال من الآنسة مارى وجانيت وجاكلين :

- لكن هل وضع الإسلام شروطا معينة لإيقاع الطلاق ... ؟

وبعبارة أوضح . هل حدد الإسلام أسبابا خاصة توجب التفرقة بين الأزواج ؟

❁ ❁ ❁

لو قلت : نعم . وبالإيجاب لوقعت فى المحظور أو الخطأ الذى وقع فيه غيرنا من رجال الكنيسة والباباوات ....

ذلك لأن الإسلام ينظر إلى العلاقة الزوجية نظرة إنسانية مطلقة . إن الزواج كما يصفه القرآن "مودة . وسكن ورحمة" والسكن والمودة والرحمة معان ومشاعر لا يمكن صبها فى قوالب تشريعية صماء جامدة كما لا يمكن ربطها بنظريات اجتماعية أو فلسفية مخترعة .. إن السعيد منا لا يمكن أن يصف لنا السعادة التى يحسها بكلمات محددة . وأن الشقى التعيس لا يستطيع تصوير ما يعانيه بألفاظ وعبارات معينة .

إنها حقائق مجردة .. فما بين الزوجين من مودة ورحمة أو شقاء وتعاسة أمر يرجع إليهما فى النهاية . وبالتالى . فان تحديد أسباب الشقاء أو السعادة خروج على العقل والحكمة والفطرة..

❁ ❁ ❁

---

(١) المصدر السابق ص٢٠١-٢٠٢ .

ولكن ما هو الحل إذا بلغ الشقاق بين الزوجين إلى حد استحال معه الصلح وأصبحت الحياة الزوجية جحيما لا يطاق ؟

وما هو الحل إذا تنافرت طباع الزوجين كل التنافر ، وألقى فى نفس أحدهما أو كليهما كراهية الآخر حتى إنه ليفضل أن يرى الموت ولا يراه...؟

وما هو الحل إذا فسدت أخلاق أحد الزوجين ، واندفع فى تيار الفجور والفسق وأصبح فضيحة الفضائح لكل من يتصل به ؟

وما هو الحل إذا جن أحد الزوجين جنونا مطبقا ، أو فقد مقومات جنسه؟ أو كان عقيما لا يلد ؟ أو غاب غيبة طويلة ولم يعرف أحى هو أم ميت ؟ أو حكم عليه بالسجن المؤبد ؟ أو أعسر ولم يستطع الإنفاق على نفسه وبيته وأهله ؟

وما هو الحل . إذا كانت معاملة أحد الزوجين للآخر معاملة شرسة وتعرض حياته لكارثة محققة ولم يمكن إصلاح هذا الحال بأية وسيلة ..

وما هو الحل إذا رأى الزوجان أن استمرار زواجهما متعذر من كل الوجوه وأراد كل منهما أن يفارق الآخر بالمعروف ؟

❁ ❁ ❁

هذه أمثلة لحالات تقع كل يوم وليلة . وفى كل مجتمع وأسرة فهل يمكن لأحد أن يحصر هذه الحالات أو الأسباب فى صحيفة أو قائمة ؟

❁ ❁ ❁

سؤال من الآنسة جاكلين ..

هل يعنى ذلك وقوف الإسلام موقفا سلبيا من الأزمة أو المشكلة التى تعترض الحياة الزوجية أو الأسرة ؟

❁ ❁ ❁

هذا التصور أبعد ما يكون عن واقع الإسلام وحقيقته . فالإسلام يتدخل ويفرض وجوده فى كل خطوة . وفى كل مرحلة سواء أكان هذا التدخل قبل الزواج – أى فى مرحلة الخطبة – أم فى حال انعقاده وقيامه ، أو حتى بعد فسخه وإلغائه بالطلاق ...

ذلك لأن الإسلام يرى فى استقرار الأسرة وسلامتها سلامة المجتمع واستقراره ، وأى شيء يعرض هذا الاستقرار أو هذه السلامة للخطر يعتبره الإسلام خطرا تجب ملاحقته واستئصال جذوره ، والقضاء على دوافعه وأسبابه ..

لذلك بغض الإسلام الناس فى الطلاق ، وصوره فى أبشع صورة ، وحث المسلمين على اتقائه ما استطاعوا سبيلا إلى ذلك . وفى هذا يقول عليه الصلاة والسلام : «أبغض الحلال إلى الله الطلاق» ، ويقول : «تزوجوا ولا تطلقوا فان الطلاق يهتز له عرش الرحمن»[1] .

و لم يكتف الإسلام بهذا الزجر وهذا الوعيد ، بل اتخذ من النظم فى شؤون الأسرة ما يكفل تحاشى الطلاق إلا لأسباب قوية قاهرة .

فقرر أنه لا يصح الالتجاء إلى الطلاق لأسباب يمكن علاجها ، أو لأمور يمكن أن تتغير فى المستقبل ، أو لا تحول بطبعها دون استقرار الحياة الزوجية . وحتى الأمور التى تتعلق بعاطفة الزوج نحو زوجته أو بكراهيته لبعض أحوالها لا يعدها الإسلام من مبررات الطلاق .

فالإسلام يرى انه لا ينبغى أن يفكر الأزواج فى الطلاق لمجرد تغير عاطفتهم نحو زوجاتهم أو طروء كراهية لهن ، أو لمجرد عدم ارتياحهم إلى

---

(١) ذكره الكاسانى فى كتابه «بدائع الصنائع» فى باب الطلاق .

وانظر أيضًا : كتاب الأسرة والمجتمع للدكتور على عبد الواحد وافى ص١٢٦ وما بعدها وهذا الكتاب من المراجع الهامة التى اعتمدنا عليها فى هذا الحوار .

بعض أحوالهن وأخلاقهن التى ليس فيها ما يمس الشرف أو الدين ، لأن هذه العواطف متقلبة متغيرة ولا يصح أن تبنى عليها أمور خطيرة تتعلق بكيان الأسرة . و الزوج إن كره من امرأته خلقا فقد يكون فيها خلق آخر يرضيه . وفى هذا يقول ا لله تعالى :

﴿وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل ا لله فيه خيرا كثيرا﴾[1] .

وجاء رجل إلى عمر بن الخطاب رضى ا لله عنه يستشيره فى طلاق امرأته فقال له عمر : لا تفعل ، فقال : ولكنى لا أحبها ، فقال له عمر : «ويحك ألم تبن البيوت إلا على الحب فأين الرعاية وأين التذمم ؟» يقصد أن البيوت إذا عز عليها أن تبنى على الحب ، فهى خليقة أن تبنى على ركنين آخرين شديدين : أحدهما الرعاية التى تبث المراحم فى جوانبها ويتكافل بها أهل البيت فى معرفة ما لهم وما عليهم من الحقوق والواجبات ، وثانيهما التذمم والتحرج من أن يصبح الرجل مصدرا لتفريق الشمل وتقويض البيت وشقوة الأولاد ، وما قد يأتى من وراء هذه السيئات من نكد العيش وسوء المصير .

❁ ❁ ❁

ومن النظم التى قررها الإسلام كذلك لتحاشى الطلاق أنه أمر الزوجين عندما يحدث بينهما شقاق أو نفوز أن يعملا على إزالته بإثارة دواعى الرحمة والوئام . وفى هذا يقول ا لله تعالى : ﴿وان امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا ، والصلح خير﴾[2] .

❁ ❁ ❁

---

(١) النساء : الآية ١٩ .

(٢) النساء : الآية ١٢٨ .

ومن النظم التى قررها الإسلام كذلك لتحاشى الطلاق أنه أوجب على الزوجين إذا لم يستطيعا أن يصلحا ما بينهما بنفسيهما ويحققا الوفاق بوسائلهما الخاصة أن يعرضا أمرهما على مجلس عائلى يتألف من حكمين : حكم من أهل المرأة ، وحكم من أهل الرجل ، ليبحثا أسباب الشقاء ، ويعملا على القضاء على مثيراته ، ويوفقا بين رغبات الزوجين ، حتى يحل الصفاء والوئام محل النفور والخصام . ولا ينتظر الإسلام حدوث الشقاق بالفعل لإجراء هذا التحكيم ، بل أنه ليأمر به عند مجرد الخوف من حدوث الشقاق ، أى عند وجود بوادر تنذر به ، ولا يمكن للزوجين القضاء عليها بوسائلهما الخاصة . وفى هذا يقول الله تعالى : ﴿وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما إن الله كان عليما خبيرا﴾[1] .

❁ ❁ ❁

ومن الأمور التى قررها الإسلام كذلك لتحاشى الطلاق انه قد رتب عليه من الناحيتين المالية والاجتماعية نتائج خطيرة وألقى بسببه على كاهل الزوج أعباء ثقيلة ، وان من شأن هذه النتائج والأعباء أن تحمل الزوج على ضبط النفس وتدبر الأمر قبل الإقدام على الطلاق . فقد قرر أنه يجب على الزوج إذا طلق زوجته أن يوفيها مؤجل صداقها ويقوم بنفقتها من مأكل ومشرب وملبس ومسكن ما دامت فى العدة ، وتكون حضانة أولادها الصغار لها ولقريباتها من بعدها حتى يكبروا ، ويقوم بنفقة أولادها منه وأجور حضانتهم ورضاعتهم فى دور الحضانة، حتى لو كانت الأم نفسها هى التى تقوم بذلك، قال تعالى : ﴿فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن﴾[2] .

---

(١) النساء : الآية ٣٥ .

(٢) الطلاق : الآية ٦ .

فإذا لم يستطع مجلس التحكيم أن يوفق بين الزوجين ، ولم تجد الوسائل السابقة جميعا ، ولم تثن الزوج عن عزمه على الفرقة ، كان فى ذلك دليل على قيام حالة خطيرة تتهدد استقرار الأسرة ، وعلى أن الحياة الزوجية قد فقدت أهم مقوماتها ..

فحينئذ يجيز الإسلام للزوج الطلاق لمصلحة الأسرة نفسها ولتحقيق الصالح العام ..

وحتى فى هذه الحالة قد احتاط الإسلام للأمر ، فوضع للطلاق نظما تتيح للزوج فى أثناء إجراءات الفرقة فرصة طويلة ليراجع نفسه ويعدل عما شرع فيه إن كان ثمة سبيل للإبقاء على الحياة الزوجية .

فقد قرر أن يبدأ الرجل بعد استنفاد الوسائل السابقة جميعا بتطليق زوجته طلقة واحدة رجعية فى طهر لم يتصل بها فى أثنائه . وإنما قرر ذلك لأن الطهر هو فترة كمال الرغبة فى المرأة ، والرجل لا يقدم على طلاق امرأته فى فترة كمال رغبته فيها إلا لشدة الحاجة إلى الفرقة[1] ، ففى ذلك دليل على قيام حالة خطيرة تستدعى الطلاق .

فإذا أوقع هذا الطلقة الرجعية الأولى كان مخيرا بين أمرين :

الأمر الأول أن يراجع زوجته فى أثناء عدتها . والعدة لغير الحامل تستغرق مدة طويلة تبلغ ثلاثة قروء أى نحو ثلاثة أشهر . فالإسلام قد أعطى المطلق حتى بعد الطلاق فرصة طويلة يراجع فيها نفسه ويرد فى أثنائها زوجته إليه إن كان ثمة سبيل للإبقاء على الحياة الزوجية . ولتسهيل الإبقاء على الحياة الزوجية يقرر الإسلام أن هذه المراجعة لا تحتاج إلى أى إجراء ، وأنها تتم بمجرد اتصال الرجل بمطلقته أو تقبيله إياها . وما إلى ذلك ، كما تتم بمجرد قوله راجعت امرأتى ، أو عبارة من هذا القبيل . ولكى تكثر بواعث المراجعة

(١) بدائع الصنائع للكاسانى ، الجزء الثالث ص٨٨ .

ودواعى الإبقاء على الزوجة أوجب الإسلام على الزوج ألا يخرج زوجته المطلقة من منزل الزوجية ما دامت فى عدتها : قال تعالى : ﴿يأيها النبى إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن ..﴾ إلى أن قال ﴿لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة﴾[١] .

ويشير القرآن الكريم ألى تفضيل المراجعة والإبقاء على الزوجية إذ يقول ﴿وبعولتهن أحق بردهن فى ذلك إن أرادوا إصلاحا﴾[٢] فوصف الرد بأنه إصلاح لما حدث . ويشير القرآن إلى ذلك أيضا إذ يقول فى آية الطلاق :

﴿يا أيها النبى إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن ، وأحصوا العدة واتقوا الله ربكم ، لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن ألا إن يأتين بفاحشة مبينة وتلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه﴾ ويختم الآية بقوله : ﴿لا تدرى لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا﴾[٣] . فالقرآن الكريم يشير إلى أن الله قد شرع الطلاق فى أول العدة أى فى طهر لم يمس الرجل زوجته فى أثنائه ، وشرع أن تظل المرأة من بعده فى منزل الزوجية طوال مدة عدتها .. شرع كل ذلك ليعطى الزوج فرصة طويلة للتأمل ، ولتكثر بواعث الرجعة ودواعى الإبقاء على الزوجة ، فلعل الله يحدث أمرا بعد ذلك فيرجع الزوج عما أبرمه ويراجع زوجته .

والأمر الثانى الذى يباح للزوج أن يفعله بعد هذه الطلقة أن يترك زوجته حتى تبلغ أجلها وتنقضى عدتها ، فتطلق منه طلقة بائنة . وحتى بعد ذلك يظل الإسلام حريصا على الإبقاء على الزوجية وعلاج ما حدث ، فيجيز للزوج أن يعيد زوجته إلى عصمته بعقد ومهر جديدين .

---

(١) الطلاقة : الآية ١ .

(٢) البقرة : الآية ٢٢٨ .

(٣) الطلاق : الآية ١ .



فإذا راجعها إلى عصمته فى أثناء عدتها أو تزوجها مرة ثانية بعقد ومهر جديدين بعد انقضاء عدتها ثم شجر بينهما ما يجعله يعزم الطلاق من جديد ، وجب عليه أن يسير فى هذه المرة الثانية على الأوضاع نفسها التى شرعت له فى المرة الأولى ويعطيه الإسلام فى هذه المرة الثانية من فرص المراجعة وإعادة الزوجية ما أعطاه فى المرة الأولى .

فإذا عاد إلى معاشرة زوجته بمراجعتها فى أثناء عدتها أو بالعقد عليها بعد انقضائها وبعد أن طلقها مرتين ، فانه لا يبقى له عليها بعد ذلك إلا طلقة واحدة .

فإذا أوقعها عليها فى الأوضاع السابق بيانها كان ذلك دليلا على أن الخرق قد اتسع على الراقع ، وأن الحياة الزوجية قد أصبحت غير محتملة بين الزوجين ، وأنهما كلما حاولا جبرها اختل عليهما نظامها . فحينئذ يقرر الإسلام الفرقة بينهما نهائيا ولا تحل له بعد ذلك حتى تنمحى آثار العقد الأول والحياة الزوجية الأولى انمحاء تاما ، وذلك لا يكون إلا إذا تزوجت من شخص آخر ، وانتهى الأمر بطلاقها منه طلاقا عاديا ، ورأى كلاهما بعد هذه المدة الطويلة وبعد تغير الأحوال على هذا الوجه انه من الممكن استعادة الحياة الأولى على وضع أقوم وأمثل .

وفى هذا يقول الله تعالى : ﴿الطلاق مرتان ، فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان﴾ إلى أن يقول ﴿تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون ﴿ فإن طلقها فلا تحل له من بعد﴾ (أى من بعد هذه الطلقة الثالثة) "حتى تنكح زوجا غيره فإن طلقها" (أى هذا الزوج الآخر طلاقًا عاديًا وانقضت عدتها منه) ﴿فلا جناح عليهما أن يتراجعا إن ظنا أن يقيما حدود الله ، وتلك حدود يبينها لقوم يعلمون﴾[1] .

---

(١) البقرة : الآيات ٢٢٩ ، ٢٣٠ .

هذا ، و لم يدخر الإسلام وسعا فى إحاطة المرأة المطلقة بعطف كريم ورعاية رحيمة ، وفى العمل على حفظ حقوقها وحمايتها من الإضرار بها ، وذلك بما سنة من نظم رشيدة فى النفقة والحضانة والعدة والإرضاع وطرق إيقاع الطلاق وزمنه ... وما إلى ذلك . وفى هذا يقول الله تعالى : ﴿وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف ، ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ، ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ، ولا تتخذوا آيات الله هزوا ، واذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به ، واتقوا الله واعلموا أن الله بكل شيء عليم . وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن إذا تراضوا بينهم بالمعروف ، ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر ، ذلكم أزكى لكم وأطهر ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾[1] . ويقول ﴿يأيها النبى إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة ، وتلك حدود الله ، ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه ، لا تدرى لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا . فإذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف﴾[2] . ويقول ﴿أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم ، ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن ، وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن ، فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن ، وأتمروا بينكم بمعروف ، وإن تعاسرتم فسترضع له أخرى﴾[3] . ويقول : ﴿وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا . أتأخذونه بهتانا وإثما مبينا ؟ وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظا﴾[4] .

❁ ❁ ❁

---

(١) البقرة : الآيات ٢٣١ ، ٢٣٢ .
(٢) الطلاق : الآيات ١ ، ٢ .
(٣) الطلاق : الآية ٦ .
(٤) النساء : الآيات ٢٠ ، ٢١ .

وبجانب هذا النوع من الطلاق الذى شرعه الإسلام بعد الدخول بالزوجة وتوثيق رباط الزوجية بينهما ، أجاز الإسلام طلاق الرجل لمن عقد عليها قبل أن يدخل بها إذا كان ثمة ما يدعو إلى ذلك ، حتى يتفرقا ويغنى الله كلا من سعته ، قبل أن يتم الدخول ، فيؤدى ذلك إلى الإضرار بكل منهما وإيذائه فى مستقبله . ومع ذلك فقد أوجب الإسلام على الرجل فى هذه الحالة نصف المهر المتفق عليه ، كما أوجب عليه المتعة للزوجة ، وهى تعويض يقدره الحاكم حسب الظروف وحسب حالة الزوج المالية وحسب ما لحق المرأة من ضرر[1] . وفى هذا يقول الله تعالى : ﴿لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة ، ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعا بالمعروف حقا على المحسنين ، وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم إلا أن يعفون أو يعفو الذى بيده عقدة النكاح وأن تعفوا أقرب للتقوى ، ولا تنسوا الفضل بينكم ، إن الله بما تعملون بصير﴾[2] .

ويجانب هذين النوعين من الطلاق اللذين وكل الأمر فيهما إلى الزوج وحده فى الحدود السابق بيانها، شرع الإسلام أربعة أنواع أخرى من الطلاق:

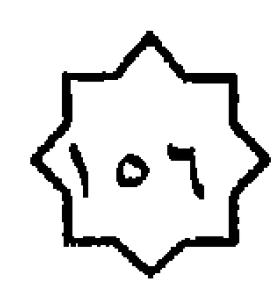
(أحدها) طلاق تستبد به المرأة ، وذلك إذا كانت قد اشترطت فى عقد الزواج أن تكون عصمتها بيدها ، أى أن تملك حق الطلاق ، وقبل زوجها ذلك . ففى هذه الحالة يكون لها حق الطلاق فى بعض المذاهب بشروط وأوضاع خاصة .

(وثانيها) طلاق يقع عند الإخلال بشرط اشترطته المرأة فى عقد الزواج . فإذا أخل الزوج بهذا الشرط وقع الطلاق فى بعض المذاهب ، على ألا يكون هذا الشرط شرطا فاسدا يتعارض مع مقومات الزوجية وحدود الله .

---

(١) يرى أبو حنيفة أن المتعة كسوة كاملة يقدمها الزوج لمطلقته .

(٢) البقرة : الآيات ٢٣٦ ، ٢٣٧ .



(وثالثها) طلاق يوقعه القاضى لإعسار الزوج وعدم قدرته على النفقة ، أو لاتقاء الضرر أو الضرار ، أو لغيبة الزوج غيبة طويلة .

(ورابعها) طلاق يقع عن تراض من الرجل والمرأة كليهما . ويتم فى الغالب عن طريق تنازل المرأة عن جميع ما لها عند زوجها أو عن بعضه أو عن طريق إعطائه شيئًا من المال يتراضيان عليه . ويسمى هذا بالخلع . ويحدث عندما ترى الزوجة تعذر الحياة الزوجية ، وتخاف إن أقامت مع زوجها على هذه الحال ألا تتمكن من إقامة حدود الله . وإلى هذا النوع يشير القرآن الكريم إذ يقول : ﴿ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئًا إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله ، فإن خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به ، تلك حدود الله فلا تعتدوها ، ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون﴾[1] .

❁ ❁ ❁

هذا هو نظام الطلاق فى الإسلام ، وهو كما رأينا حل ينظر إليه الإسلام كما ينظر إلى جراحة لابد من إجرائها فلا يقرها إلا إذا تعذر الشفاء بغيرها ، وسط بين الإفراط والتفريط : لا تسد منافذه حتى تشقى الأسرة بتحريمه كما هو شأن النظام المسيحى ، ولا تتسع كل الاتساع حتى يفقد معه ميثاق الزواج ما له من حرمة وجلال ، كما هو شأن النظم المدنية فى بعض أمم الغرب ، ولا تتوعر طريقة حتى يتلمسه الزوجان المتكارهان فى الاتفاق على دعوى الخطيئة ووصم الأسرة بعار أبدى كما هو شأن النظم المدنية فى أمم أخرى من أمم الغرب .

نعود مرة ثانية إلى سؤال الآنسة فلورا . ولندا . وكارمن ...

---

(١) البقرة : الآية ٢٢٩ – انظر فى الأوضاع التى شرعها الإسلام للطلاق بحثًا قيمًا للعلامة الأستاذ الشيخ أحمد محمد شاكر بعنوان «نظام الطلاق فى الإسلام» . وقد كان هذا البحث من أهم مراجعنا فى هذه الفقرة .

أين هى قسوة الإسلام فى تشريعه الخاص بالطلاق ؟

وأين تقف المرأة أو الأسرة الأوروبية من شريعة " ... لأن ما جمعه الله لا يفرقه إنسان ... " . !

لقد انتهى كل شيء ... ضاع الأمل . واختنق صوته الحبيس فى أعماق بؤرة الحزن والألم .. لم يعد هناك شيء مقدس يحترمه الناس فى حضارة الغرب .. الدين والمثل لم يبق منهما فى ضمير هذا المجتمع أثر .. لقد تلاشى الخير . والحق .. كل الأسفار والكتب والوصايا والكنيسة . تحولت إلى ركام وأنقاض وذكريات . وما بقى لهذه الأشياء كلها فى الضمائر والقلوب سوى آهات الندم والتوجع على شيء مضى .. وفات .. !

فى البيت الذى أقيم فيه .. لا أرى رجلا غيرى يدخل هذا البيت ... أكثر من فى البيت أرامل ومطلقات . وشاردات لا يعرف لهن أسرة ولا أصل. صورة مكررة فى لندن . وسيدنى وباريس وموسكو ونيويورك . وفى كل دولة أو دويلة من أمم الغرب ..

وتؤكد دراسة نشرت فى كندا Canada أن نسبة الطلاق فى هذه الدولة زادت ٤٠٠٪ أربعمائة فى المائة ..

وفى موسكو أثبتت إحدى الإحصائيات أن عدد حالات الطلاق فى مدينة موسكو وصلت إلى مليون حالة فى سنة واحدة . وأن فى بعض المدن الروسية تصل نسبة الطلاق إلى حوالى خمسين فى المائة ..

وفى مدينة "دلاس" بالولايات المتحدة الأمريكية تم طلاق مائة رجل وامرأة فى عشرين دقيقة .. !

وفى بريطانيا يطالب ٥٠٪ خمسون فى المائة من المتزوجين بالطلاق وإنهاء حياتهم الزوجية ... وقال السير "جورج بيكر" ، رئيس المحكمة العليا لشؤون الأسرة أن عدد حالات الطلاق خلال العام الماضى فى انجلترا وويلز

بلغت ١٤٦,٠٠٠ مائة وستة وأربعين ألفـا مقـابل ٣٥٦,٠٠٠ ثلاثمائـة وسـتة وخمسين ألف حالة زواج ..

وفى إيطاليا صوت الشعب الإيطالى ضد الكنيسـة ووافـق علـى مشـروع الحكومة الذى يطالب بتيسير وإباحة الطلاق ..

والفاتيكان الذى يهيمن على الكنيسة .ويحرم زواج المطلقة ويعتبر الطلاق كفرا وهرطقة . خضع للواقع ووافق على الانفصال لأسباب بعيدة كـل البعـد عن ارتكاب الزنا أو الفاحشة ، ونسى أو تناسى أن ما جمعه الله لا يفرقه البابا ولاغيره من رجال الكنيسة .. !

ولماذا نذهب بعيدا عن هنا .. عـن اسـتراليا التـى نحـن فيهـا .. ؟ أليسـت هنـاك محـاكم مختصه بشـؤون الأسـرة وتحكـم بـالطلاق والانفصـال لأسـباب معروفة وشائعة ؟

لقد نشرت مجلة الايكونوميست[١] The Economist تحقيقا مفصلا عن هـذه المشكلة تحت عنوان "تزوج مرة أخرى إذا اضطررت Remarry if you must وفى هذا البحث تقول مجلة الايكونومست :

كنيسة انجلترا على وشك قبول واقع الطلاق . ولهذا يجب علـى الحكومـة اقامة محاكم الأسرة .

وفى سنة ١٩٥٥ تناولت الأميرة مرجريت تعليم الكنيسة التى آمنت بهـا مثل أى انسان ، حين قالت عبارتها "يجب مراعاة تعليـم الكنيسـة وأن الـزواج المسيحى غير قابل للانحلال" والآن وبعد عامين من الانفصال بينها وبين اللورد سنودن يطلبان التطليق ، كما تبحث أيضا كنيسة انجلترا عن حل أو تأويل لهذا التعليم لتكون الكنيسة مفتوحة الباب لابتلاع العديد من العشاء الربانى .

---

(١) عدد ١٣-١٩ مايو ١٩٧٨م .

سيذاع الأسبوع القادم تقرير لجنة الزواج الذى وضعه رؤساء أساقفة كانتر برى ويورك .

مع الأخذ فى الاعتبار بهذين الأمرين ..

١- لا تشير زيادة حالات التطليق فى بريطانيا إلى توقف ارتفاعها المضطرد.!
٢- فى العام الماضى ، ولأول مرة زادت مراسم الزواج التى عقدت فى مكاتب التسجيل المدنية عن تلك التى عقدت فى الكنيسة . !
٣- لا يتحدث الاساقفة الإنجيليون عن القساوسة الذين يساعدون المطلقين للحصول على مراسم عرس كنيسة .

ولهذا ، فقد أصبح من الأسلم أن يسمح للناس أن يصنعوا فى الكنيسة ما يمكن أن يصنعوه خارجها بأى طريقة .. الزواج مرة أخرى بعد التطليق .

لن يحدث التغير بين يوم وليله . فيجب مناقشة التقرير على مستوى المجمع الكنسى العام والأسقفية الإنجيلية . على أن لا يؤخذ الأمر على أنه مسألة لاهوتية بحتة للأنجيليين فقط . وبما أن كنيسة انجلترا هى الكنيسة المقررة فى الأرض ، فكما تحب ان لا تذهب قوانينها بعيدا كالقانون المدنى (كالذى حدث بصدور لائحة الطلاق فى سنة ١٩٦٩ التى جعلت الطلاق سهلا) فالقانون المدنى لا يريد أيضا ان يتقدم بعيدا جدا أمام الكنيسة . وعلى الرغم من ذلك لا زالت تزداد الضغوط لإحداث تغيرات فى القانون المدنى . لقد انتهى رئيس قسم الأسرة بالمحكمة العليا من اقتراح قانون بسيط للطلاق - مثل استراليا - يسمح بانتهاء أى زواج ، بعد أن يكون الزوجان قد انفصلا لمدة عام واحد والجمعية القانونية ربما تصدر فى الشهر القادم نداءها للإصلاح .

لماذا التراخى فى قانون الطلاق ، مع إمكان تحقيقه بالبريد (حتى فى اسكتلندا) يقول بعض المحامين ان أزواجا كثيرين لا يريدون الانتظار لمدة عامين بعد الانفصال . وهم بدلا من هذا الانتظار - يتفقون على تلفيق

اتهامات بالزنا أو الوحشية ، حتى يمكن أن يتحقق الطلاق فـي ثلاثـة أشـهر ، وهكذا يستهزا بالقانون ، ويضيع وقت المحكمة .

والمناقشة الجديدة للطلاق ، لن تكون أسوأ من سابقتها ذلـك ان عرائـض وطلبات الطلاق فى انجلترا وويلز ارتفعت من ٣٨,٠٠٠ فـى عـام ١٩٥١ إلى ١٤٠٠٠٠ فى عام ١٩٧٦ . وهكـذا أصبـح الطـلاق عرفـا اجتماعيـا مقبـولا وراسخا وهو العلاج حينما يفشل الزواج .

وبعد .. فهل أقول وداعا .. ؟

نعم ... ولكن ليس قبل أن أشكركن واحدة . بعد واحدة ...

دورثى. ريتا. لورا. ديانا. كارول. تريزا. باتى. جانيت. مارى. بريجيت. هيلين. جاكلين. سالى. فلورا. فانيسا. كارمن. كاترين. ليندا..

شكرا لإتاحة هذه الفرصة التى لا أظنها تتكرر مرة ثانيـة . وشـكرا لهـذه الروح المشعة بنور التفاهم والتسامح والمحبة ... وداعا ... وشكرا ... لطالبات جامعة سان دى فنسنت .

وللأمل ...

والبشائر ...

والمستقبل ... ! !

المحتويات

مقدمات تاريخية ٧

القسم الأول من الحوار ٤٥

* جامعة للبنات فى حى الدعارة ..
* تجربتى ... مع راهبات الحقد والكراهية ..
* هكذا كانت المرأة قبل الإسلام ..
* ماذا فى الإنجيل والتوراة ... ؟
* كل النساء ... إلى الجحيم ..
* امرأة ... بشلنين فى كنيسة ..
* عندما كان القانون الإنجليزى يبيح بيع الزوجة ..
* إيطالى يشترى زوجة رجل بالتقسيط ..
* مأساة الطالبة .. آليصابات ..
* وهذا هو الإسلام ..
* شبهات والرد عليها ..
* نعم .. ولكن .. عن عمل المرأة ..
* ماذا تقول أستاذة إنجليزية ... ؟
* تقرير عن الديلى ميل ..
* الخديعة الكبرى ..
* انهيار .. وضياع ..

القسم الثانى من الحوار ٨٥

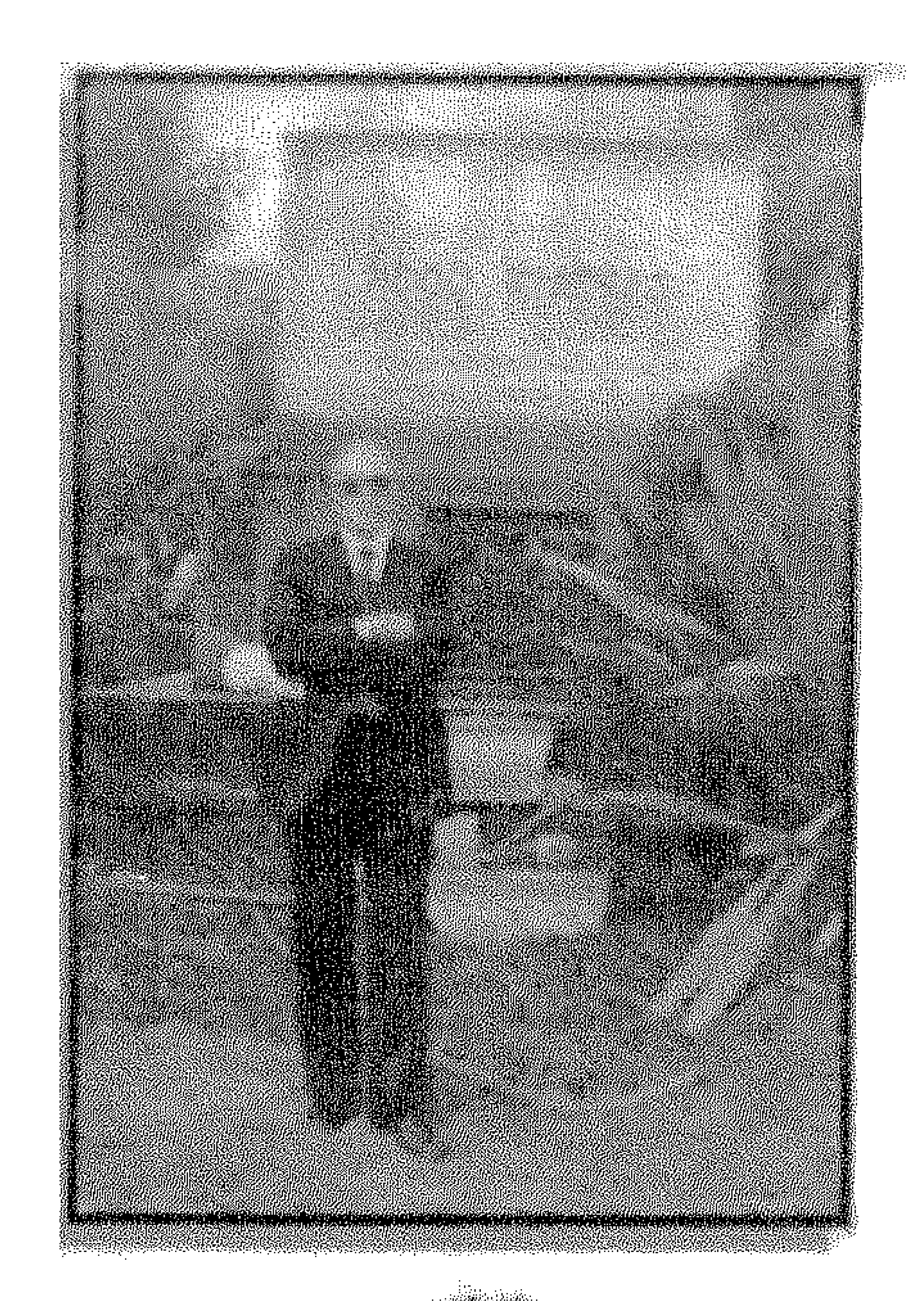
* الإسلام بين تقصير المسلمين ... وقصورهم ..
* لقاء فى المسجد ..
* مقال عن تعدد الزوجات فى «سيدنى هيرالد» ..
* ماذا يقول الكتاب المقدس ..
* اغتصاب امرأة .. بعد قتل زوجها على يدى نبى .. !

* سبعمائة زوجة وثلاثمائة جارية ... للنبى سليمان .. !
* التعدد شريعة اليهود والنصارى ... قبل المسلمين ..
* أمثلة من التاريخ ..
* لكن لماذا التحامل على الإسلام .. ؟
* حوار فى لندن ..
* نساء يطالبن بتعدد الزوجات .. !
* جوانا .. المسكينة ..
* قصة الفلاح "لويجى" وزوجاته .. الست .. !
* عندما يصبح الحلال حرامًا ..والحرام تقدمًا وحضارة ..!

ملحق خاص عن زواج النبى صلى الله عليه وسلم ١٢١

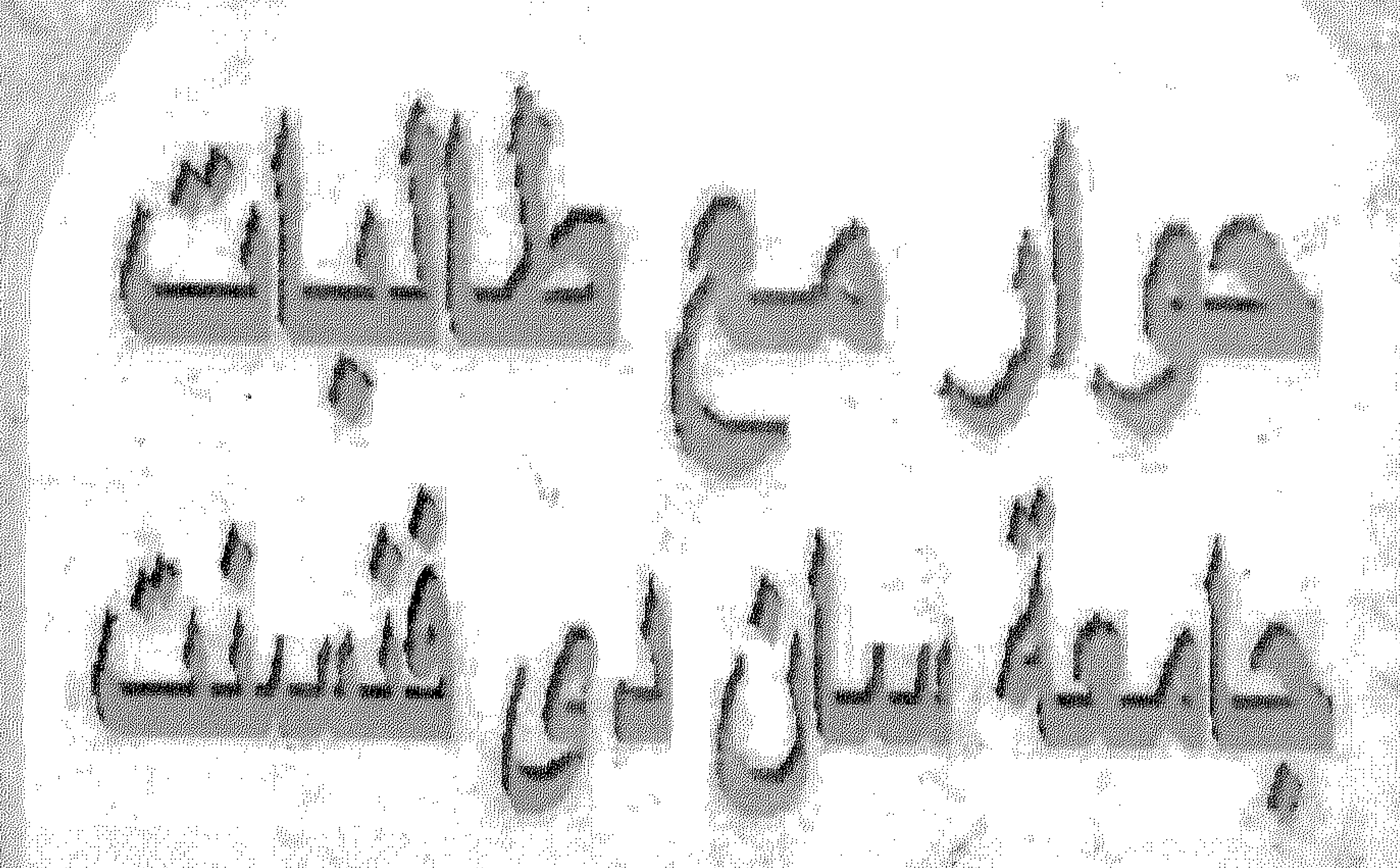
القسم الثالث من الحوار ١٣١

* لقاء على غير موعد ..
* هل الطلاق ظلم يمارسة الرجل ضد المرأة .... ؟
* زوجة مفترسة ... وزوج بلا حماية ..
* عمر بن الخطاب والمرأة التى جاءت تطلب الطلاق ..
* الطلاق عند اليهود ..
* وعند المسيحين .. ما جمعه الله لا يفرقه إنسان
* إذن ... فلن يتزوج أحد كما قال الحواريون للمسيح ..
* من تزوج مطلقة يزنى .. ومن يزنى فلا شيء عليه ...!
* وكان البديل ... خروجا على وصايا الإنجيل .
* وهذا هو موقف الإسلام من الطلاق ..
* احصائيات وأرقام من أوربا وأميركا ..
* وماذا تقول مجلة الايكونومست ... ؟
* شكرا .. طالبات جامعة سان دى فنسنت ..



دكتور
عبد الودود شلبى

* تلقى تعليمه فى الأزهر حتى درجة الماجستير.
* ثم سافر إلى بريطانيا بعد ذلك للحصول على درجة الدكتوراه pH.d التى حصل عليها فى الفلسفة من كلية الدراسات الشرقية - جامعة بنجاب
Theorientalcollege-pungabuniversity
* شغل العديد من الوظائف فى مصر والخارج منها،
* عمل رئيسا للمركز الإسلامى فى استراليا ومنطقة جنوب الباسفيك.
* عميد كلية بجامعة الأزهر.
* أمين عام المجلس العالمى للدعوة الإسلامية.
* أمين عام الدعوة الإسلامية.
* له أكثر من عشرين مؤلفا فى الدفاع عن الإسلام منها كتاب الإسلام دين الحياة باللغة الإنجليزية ، وقد ترجمت طبعته الأولى فى لندن عام ١٩٩١ .
Islamreligionoflife
* شارك فى أكثر من سبعين مؤتمرا دوليا فى آسيا وأفريقيا وأوروبا وأستراليا
* بعد إنجازه فى الدعوة منحه وسام الامتياز من الطبقة الأولى
* عضو فى اتحاد الكتاب المصريين وفى غيره من المنظمات الإسلامية العالمية



المرأة المسلمة هى الهدف !

أجل .. المرأة هى الهدف ... فليس هناك طريق لتدمير البيت المسلم والمجتمع المسلم سوى تفريغ « المرأة المسلمة » من مقومات الحياء والشرف . ومن الغيرة على الدين والعرض وتحويلها إلى « دمية » تأتمر بأمر إبليس ! وتنام وتصحو على صيحات التبرج والفتنة القادمة من لندن .. و .. باريس ..! أوهموها أنها مظلومة .. لهذا لا بد أن تشق عصا الطاعة على الأب وعلى الزوج وأن تطالب بالمساواة مع الرجل فى كل شئ .. حتى لو كان هذا الشيء ضد الفطرة . وضد الدين . وضد الأخلاق وحتى لو أدى هذا ! الشيء إلى انهيار مجتمع والأسرة وتحويلها إلى شظايا وأنقاض ..! أن رؤية امرأة « محجبة » تثير فى نفوس هؤلاء الشياطين » أقصى درجات السخط والغضب ... وان شئت فقل أقصى درجات الخيبة « والفشل فما دامت المرأة المسلمة متمسكة بأهداب الفضيلة والدين . وما دامت معتصمة بحبل الله المتين فـ ذلك يعنى – من وجهة نظرهم – رفض كل أنواع الإباحية والفوضى ، كما يعنى رفض مخططاتهم التى يرفضها الإسلام وقيمه العليا . كما يعنى أن المرأة المسلمة لا تستبدل

... أجراه المؤلف مع طالبات جامعة « سان دى فسنت » فى مدينة ... هذه المؤامرة ، وأبعاد هذه الفتنة التى خرجت منها « المرأة المسلمة » ظافرة ... ومنتصرة !

الناشر

محمد فكرى